روايات رومانسية عالمية

عبير

سارة كريفن

الخلاص

www.elromancia.com
مرمورية

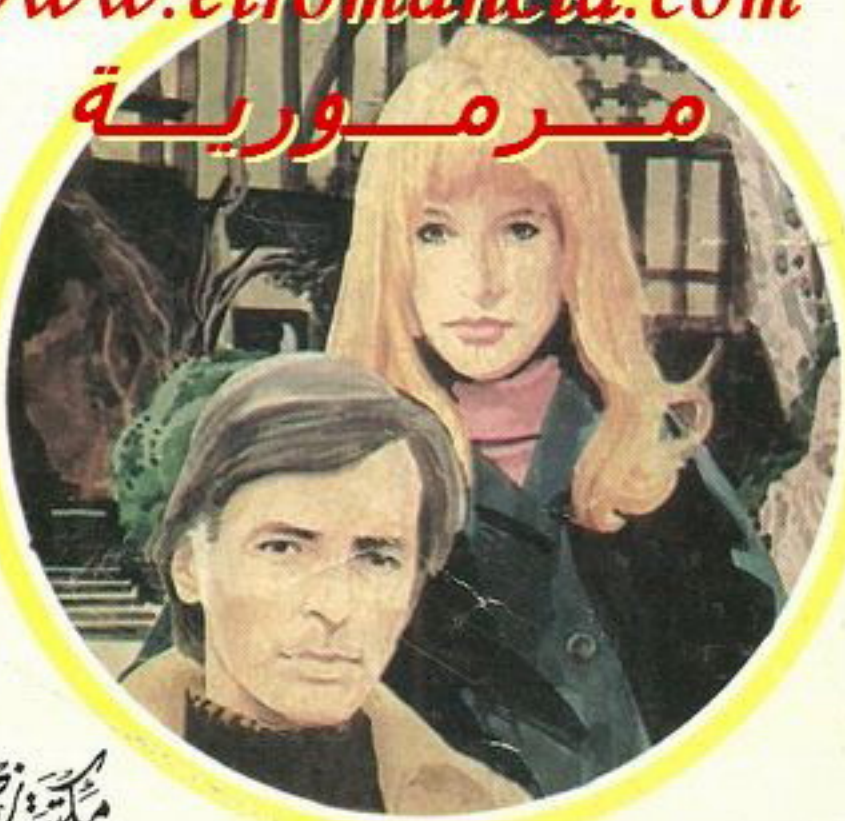

مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية

عبير

الخلاص

اقنعت
نفسها، اقنعته، اقنعت عائلتها
وكل من حولها بأن جون هو الرجل الذي يملك
قلبها، وكان جون جعلها تصدق انه هو المرشح لاحتلال
ما تبقى من جوانب فؤادها لكن ماكس، ابن عمه الكاتب
المسرحي، ظهر فجأة ذلك المساء وكادت ان تقتله بردة فعلها
الغاضبة صارخة من أنت ، ماذا تفعل هنا ؟ لكن ماكس هو الذي
يريد شراء القصر وهو المفروض ان يكون سيد عملها . اعتذرت منه
ولاحظت فيما بعد، بكثير من الحذر والحسد علاقته المتينة
بالسيدة لانيون مالكة القصر، كما ترقبت باحتراق موعد
زفافهما. وفي النهاية تبين لها ان جون الذي حفظت له مكاناً
في قلبها كان يحب اختها بربارة...وان ماكس الذي
شغل كل فؤادها وحواسها وعقلها هو الرجل
الذي يحمل لها الخلاص.

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
• ١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٢٧٨٦٤١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
SHADOW OF DESIRE

١ ـ صراعها كي تحافظ على اسرتها. . . أو ما تبقى من هذه الأسرة. . . حملها الى اقصى حدود الاحتمال وها هي جينيفر كلايتن في قصر الصنوبر أمام صاحبته الغامضة وساكنه الأكثر غموضاً!

جينيفر كلايتن وضعت آخر صندوق مؤن في سيارتها القديمة وصفقت الباب الخلفي، ثم شكرت البقّال الذي ساعدها. وبعد المحاولة الثالثة دار المحرك وابتعدت عن الرصيف منطلقة في الطريق حتى اختفت بعيداً عن الساحة.

اجاب السيد موريسن، صاحب الدكان، بسرعة آلية على اشارة الوداع التي حيّته بها الفتاة، لكنه اطلق زفرة عميقة ودخل الى محله. زوجته التي كانت تلصق الأسعار على معلبات الفاكهة والخضار أحست بأنه ينظر اليها بالحاح، فالتفتت نحوه واومأت برأسها، وسمعته يقول:

ـ ليس من العدالة ان تتحمل فتاة صبية كل هذه المسؤوليات

www.elromancia.com

المتراكمة!

اجابت الزوجة قائلة:

- نادراً ما يوجد اناس يفعلون مثلها. اما كان يجب عليها أن تضع عمة والدها في منزل العجزة، وتجد من يتبنى اخاها الصغير. هكذا يصبح باستطاعتها أن تعيش حياتها كما يجب؟

- ولا تضطر للعمل لدى السيدة لانيون! وأي عمل! خادمة فقط!

صمت البائع وزوجته فترة قصيرة، كانا يفكران خلالها بفيفيان لانيون، ربة عمل جينيفر. انها ارملة جيوفري لانيون ، آخر وريث لعائلة غنية، ذات نفوذ كبير، فقدت الكثير من ثروتها وشهرتها في الفترة الأخيرة، ولا أحد في القرية يعرف سبب تدهور هذه العائلة.

ورثت فيفيان لانيون عن زوجها قصراً صغيراً تحيط به الحدائق الواسعة ومباني صغيرة تحفظ داخلها الأهراء والحطب، واسطبلات واسعة ونظيفة تأوي جميع انواع الحيوانات الأليفة. لكن اهالي القرية لم يحبوا فيفيان كثيراً.

وفجأة قطع السيد موريسن الصمت وقال:

- وشقيقة جينيفر الكبيرة؟ احب ان اعرف ماذا ستفعل لتؤمن مستقبلها ومستقبل العائلة.

اجابت الزوجة قائلة:

- بربارة ممثلة... لقد سبق ورأيتها في برنامج دعائي على شاشة التلفزيون...

الصقت السيدة موريسن آخر لائحة اسعار، ثم اطلقت زفرة ارتياح وأضافت تقول:

- في كل حال، الأمر لا يخصنا. والآن، يبدو ان العائلة، بعد وفاة

عمادها وجدت اخيراً حلاً مناسباً لمشكلتها.

تمتم البائع وهو يجرع من ابريق الماء:

- في كل حال، ما يجري داخل العائلة ليس امراً عادلاً.

كانت تسير جينيفر في بطء باتجاه المنزل، وقد فوجئت بالاهتمام الذي يكنه الغير لها. منذ وقت قصير، لم تعد تجرؤ على الايمان بالسعادة. وكلمة «خادمة» لم تدهشها كثيراً. جاءها العرض من قبل السيد روبنسون، مستشار العائلة القانوني الذي وجد لها هذه الوظيفة في «قصر الصنوبر» وقال لها منزعجاً:

- ستكونين حارسة القصر، بمعنى آخر، ربما كنت مخطئاً عندما وجدت لك هذه الوظيفة، لكنني رأيت فيها ملجأ وماوى للعائلة جميعها. وأعرف ان هذه هي مشكلتك الأساسية.

وبالفعل، كانت هذه المشكلة تراود عقلها باستمرار وأبقتها مستيقظة ليالي بيضاء. كان همها الوحيد ان تجد سقفاً يأويها مع عمة والدها العجوز وأخيها الصغير وكلبها.

آه، كم الحياة ظالمة، قادرة ان تتأرجح وتنقلب عليها بلمح البصر؟ كانت جينيفر تتصور ان استقرارها وسعادتها وطموحاتها، امور ابدية لن تزول. اذ كانت تسكن مع والديها وأخيها تيم ، في منزل واسع يعود طرازه الى العهد الفيكتوري. والعمة ميري كانت تقطن في الطابق الأول من المنزل نفسه، في شقة مستقلة. كانت عانساً، تقاعدت عن العمل بعد سنوات عديدة في خدمة السلك التعليمي والتربية.

اما جينيفر فانهت دراستها الثانوية ودخلت معهد السكريتارية. لم تشارك ابداً طموحات اختها الفنية، كما كانت على ادراك واعٍ بأنها لم

تكن تتمتع بجمال بربارة الساحر. ولم يفاجأ احد من العائلة بقرار بربارة دخول المدرسة الفنية لمتابعة دروس المسرح والتمثيل. وبسرعة حصلت على دور صغير في مسرحية لاقت نجاحاً كبيراً. السيد والسيدة كلايتن، والداها، كانا فرحين بمواهبها الفنية، لكنهما، في الوقت نفسه، كانا حزينين لعدم رؤيتها الاّ نادراً، مكتفيين بقراءة المقالات التي تنشر عنها في الصحيفة المحلية.

لم تفكر جينيفر ابداً ان تسلك الطريق نفسه. يكفي ان تلقي نظرة في المرآة لتبعد هذه الفكرة كلياً عن عقلها، هذا في حال خطرت ببالها مثل هذه الأمور. ففضلاً عن شعرها الأشقر الحريري وعينيها الواسعتين المحاطتين برموش سوداء طويلة، لا شيء في ملامحها يلفت النظر. كانت تتقبل ببساطة أن يدعوها أهلها وأصحابها بالفأرة، لأنها كان تتمتع بروح النكتة وبصدر واسع.

في مدرسة السكريتارية، كانت جينيفر تلميذة نشيطة وحماسية. احبت الطباعة والاختزال، وانهت السنة الأولى بنجاح. ثم وجدت عملاً عند محاسب مبتدىء، وظلت تكمل دراستها في المعهد الليلي. كانت الحياة منفتحة امامها، في كل المجالات...

وفي ليلة مثلجة، تغيّرت الأمور كلياً، الى الأبد. بينما كان السيد والسيدة كلايتن يعودان الى المنزل، ارتطمت سيارتهما بباص مسرع، فقتلت والدتها في الحال، ثم والدها بعد ايام معدودة.

اصيبت جينيفر بصدمة كبيرة لكنها ظلت صامدة لمواجهة الأمور. تحملت استجوابات الشرطة ومراسم المأتم بروح صبورة وبحزن كبير. لكن المشاكل لم تتوقف هنا. اذ تبيّن ان المؤسسة الصغيرة التي يرأسها والدها كانت متراكمة الديون. حتى المنزل كان مرهوناً. ولما

وفت جينيفر كل الديون، لم يبق معها فلساً واحداً، اضافة الى خسارة المنزل.

واصبح على جينيفر ان تعيل الأسرة المتبقية وايجاد المال لدفع الايجار لو ارادت المحافظة على المنزل نفسه. بربارة، الشقيقة الكبيرة والممثلة المسرحية، اعربت لشقيقتها عن عدم استعدادها اطلاقاً لاعانتها مادياً أم معنوياً.

وذات مساء، اشتد النقاش بين الشقيقتين، وأعربت بربارة عن نيتها في الذهاب الى لندن اليوم التالي، بشكل نهائي. وقالت بنبرة عصبية:

ـ أنت حقاً فتاة مجنونة! لا احد يطلب منك الاهتمام بالعجوز والصغير.

ـ ومن يهتم بهما، اذن؟

ـ ليس أنا، طبعاً. في شقتي اللندنية لا مكان لأحد. واضافة الى ذلك، لدي مهنتي وحياتي الخاصة. وعليك انت ان تفعلي مثلي.

ـ انا مهنتي محدودة، لدي عمل بسيط وهذا كل ما في الأمر.

ألقت جينيفر نظرة الى المطبخ حولها: ما زال يلمع نظافة، كأيام السيدة كلايتن. احست بألم حاد في قلبها وقالت:

ـ لكن بامكاني ان ابحث عن عمل جيّد حيث يكون معاشي افضل من الآن...

ـ آه، يا جينيفر، تحلّي بالوعي والمنطق! كيف ستدفعين ايجار هذا المنزل الكبير بمعاش سكرتيرة عادية؟ لنفترض ستجدين مكاناً أصغر وأرخص، لكن اي مؤجر يقبل بالكلاب والأطفال!؟

حدقت جينيفر بأختها في حدة وسألتها:

www.elromancia.com

- عمن يجب ان اتخلى؟ تيم ام بوبي؟

- آه، لا تكوني حمقاء! انظري للأمور مواجهة. لا احد يطلب منك ان تكوني عطوفة وحنونة مثل والدي.

- والعمة ميري؟ هي ايضاً خسرت شقتها. الا تشعرين بالحزن عليها؟

هزت بربارة كتفيها وقالت من دون اقتناع:

- بلى، طبعاً. لكن، لديها معاش شهري من الدولة، وبامكانها أن تجد مكاناً في بيت العجزة بسهولة.

- هذه البيوت المنعزلة تذكرني بالسجون الحقيرة.. هل قلبك قاس الى هذه الدرجة؟ انها عمة والدي الأحب الى قلبه.

اجابت بربارة بصوت بارد:

- ليست عمتي، في كل حال. اتساءل كيف استطاعت امي ان تتحمل وجودها معنا، كل هذه السنوات.

ران صمت ثقيل ، قطعته بربارة أخيراً وتابعت تقول:

- وبالنسبة الى تيم، نرسله الى الميتم. الم يخطر ذلك ببالك؟

- بلى. وكذلك تيم فكر بالأمر نفسه. لكن هذه الفكرة ترعبه.

تناولت بربارة سيكارة، اشعلتها بعصبية وقالت:

- هذا حل لا بد منه.

ذعرت جينيفر وقالت:

- بربارة! لست جادة فيما تقولينه، اليس كذلك؟

- احاول ان اكون واقعية. لا يمكنك ان تلعبي دور الأب والأم لصبيّ في الحادية عشرة من عمره.

- لكن، يجب ان افعل ذلك. لقد اقسمت لتيم انني لن

افترق عنه.

- اذا لم تجدي قريباً عملاً جديداً ومنزلاً، لن يعود امامك خيار آخر.

وبعدما تغلبت جينيفر نهائياً على الصدمة الأولى، بقي همها الوحيد مركّزاً على ايجاد عمل ومسكن لعائلتها. المشاكل المادية كانت تأخذ منها وقتاً كبيراً وتستهلك معظم طاقاتها، وتمنعها من التفكير كثيراً بمصيرها وسوء حظها. تيم والعمة ميري متكلان عليها كلياً، لكن جينيفر وجدت نفسها تتمتع بقوة وشجاعة لا مثيل لهما.

وفهمت بشكل نهائي بأن شقيقتها بربارة لا تستطيع مساعدتها مادياً فهي حالياً تتمرن على مسرحية جديدة، وفي حال لم تنل هذه المسرحية النجاح المتوقع، ستجد الممثلة الشابة نفسها من دون عمل وستكون بحاجة الى ما وفرته من المال لتصرفه على نفسها بانتظار عمل آخر. لذلك لم تفاجأ جينيفر من ردة فعل بربارة لأنها كانت تعرف انها تتمتع بأخلاق لا وجود للشفقة فيها، كما انها عنيدة في الرأي. لكن، هل تنظر هي الى الوضع الجديد بصورة واقعية؟

خلال الأسابيع التالية كل الوظائف التي كانت تعثر عليها لم تكن كافية لأعالة عائلتها، والشقق الصغيرة التي كانت تجدها لا تتسع لايواء الجميع. فمعظم الملاكين كانوا يرفضون تأجير منازلهم لعائلات مع أولاد وحيوانات. وكلبها له عادة سيئة: يخبىء عظام طعامه وراء وسائد المقاعد، ويحفر دهان الأبواب، كلما اراد الدخول ام الخروج.

كانت جينيفر في وضع يائس عندما جاءتها مكالمة هاتفية من السيد روبنسون، يطلب منها ان تحضر الى مكتبه. اعتقدت بأنه يريدها

لأمور تتعلق ببيع المنزل. لكن عندما اخبرها عن الوظيفة في «قصر الصنوبر» لم تصدق ما سمعته، بل حذرها في الحال بأن هذه الوظيفة ليست بمهمة سهلة ابداً.

- «قصر الصنوبر» ملك عائلة لانيون منذ وقت قديم. وأظن بأن المستأجر الجديد سيبقى فيه مدة طويلة. القصر بناء واسع، اضيفت اليه الغرف والحمامات خلال مرور السنوات. فيه شقة خاصة بالخدم، حيث ستقيمين مع العائلة. المعاش ليس مرتفعاً، لذلك كانت السيدة لانيون تجد صعوبة في ايجاد الخادم المناسب. الاقامة طبعاً مجانية، وهذا الأمر يناسبك كلياً.

- وماذا سيكون عملي بالضبط؟

- الاهتمام بالقصر كي يكون نظيفاً وصالحاً للسكن، حتى مجيء المستأجر. لكن، احذرك من صاحبة القصر، فالسيدة لانيون امرأة قاسية، لا ترحم احداً، وتطلب من موظفيها الكثير...

سألت جينيفر وقلبها يخفق بسرعة رهيبة:

- وهل تعتقد بأنها ستوافق على الاحتفاظ بكلبي في القصر؟

- نعم، على ما اظن، فلديها كلاب عديدة، وبامكانك ان تقولي بأن كلبك ملمّ بحراسة البيوت. فالمستأجر الجديد سيظل غائباً عن القصر معظم الأوقات.

وتخيلت جينيفر كلبها، بأذنيه المتدليتين، ينظر بلطف الى كل الأشخاص، المعروفين أو الغرباء عليه، وقالت كاذبة:

- آه، سيكون كلب حراسة من الطراز الأول. آه، يا سيد روبنسون، كم اتشكرك لهذه الخدمة الكبيرة!

تنهد الرجل وقال:

- لا تشكريني قبل أن تعرفي المزيد عن هذه الوظيفة، يا ابنتي. اذا كنت مهتمة بالحصول عليها سأهيىء لك لقاء مع صاحبة القصر.

بعد نصف ساعة من لقائها الحذر مع السيدة لانيون، ادركت جينيفر ما كان السيد روبنسون يقصد من كلامه. صاحبة القصر كانت امرأة ممشوقة القامة، شقراء وجميلة جداً أوضحت لجينيفر بأنها ليست تماماً الشخص الذي تبحث عنه. في بادىء الأمر قالت لها:

- انت صغيرة جداً لتحمّل عبء هذا المنزل الكبير.

لكن جينيفر استعملت كل ما لديها من وسائل الاقناع لتدع صاحبة القصر تصغي الى ما قالته. بعدئذ جلست السيدة لانيون بكآبة على الصوفا المغلفة بالحرير وأضافت تقول:

- في كل حال كنت ابحث عن زوج، امرأة ورجل، ذلك لأن القصر يتطلب اعمالاً ضخمة، خاصة الاهتمام بالحديقة. لكن في ايامنا هذه، لا احد يبحث عن هذا النوع من العمل، وبصراحة هذا الأمر يخيّب املي. في كل حال سآخذك في فترة تجربة.

ثم تفحصت جينيفر من رأسها حتى اخمص قدميها، وتنهدت قائلة:

- لن اخفي عليك، بأنك ستواجهين هنا عملاً كثيراً. لكنك لن تدفعي ايجاراً لاقامتك. القصر مؤجر سنة واحدة للسيد هندريك. وستكون مسؤوليتك مرتبطة به. انه يعيش خارج البلاد في معظم الأحيان. لكن كل شيء سيكون جاهزاً لاستقباله: المؤونة حاضرة، والحليب الطازج موصى عليه... كذلك مطلوب منك ان تحافظي على نظافة المكان وترتيبه. السيدة بيتي ستأتي كل اسبوع للقيام بالأشغال الكبيرة، وبالنسبة الى الحديقة، يمكنك ان توكلي سايمونز

www.elromancia.com

للاهتمام بها مرة في الاسبوع.

قالت جينيفر صدفة:

- ربما يفضل السيد هندريك ان يهتم بالحديقة بنفسه.

ضحكت السيدة لانيون بسخرية وقالت:

- اشك بذلك. انه لا يهتم بالأمور المادية. لكن المنزل يعجبه وهذا اهم ما في الأمر.

تأملت الفتاة مطولاً، ثم اضافت تقول:

- المكان هادىء وبعيد عن المدينة. كيف ستمضين اوقات الفراغ؟

اجابت الفتاة بكرامة مدهشة، قائلة:

- لدي عائلة عليّ اعالتها. والعمل المطلوب مني سيأخذ معظم وقتي، وأنا اكيدة بأنني لن املّ لحظة.

اشعلت السيدة لانيون سيكارة وقالت:

- انت ستتقاسمين هذا القصر مع رجل عازب، واريدك الاّ تفكري بغاية وراء ذلك.

كانت لهجتها قاسية. فأحست جينيفر بالغضب يسيطر عليها. لكن، هل تتحمل السيدة لانيون جواب الفتاة الصريح؟ لا، لن تقول لها بأنها ليست من البنات الطائشات اللواتي يغتنمن الفرص... لكنها تخاف خسارة هذه الوظيفة وهي بحاجة اليها اكثر من أي شيء آخر. فاكتفت بالقول:

- اؤكد لك بأن همي الوحيد ان اقوم بعملي على احسن وجه.

هزت السيدة لانيون كتفيها وقالت:

- انا مسرورة لسماع هذه الكلمات. في كل حال، لن يسمح لك

الوقت للخروج! حسناً يا آنسة كلايتن... جينيفر...

نظرت الى طلب الفتاة الذي بين يديها وأضافت تقول:

- يا لهذا الاسم الغريب!

- اختارته لي والدتي...

- رائع! حسناً، متى باستطاعتك البدء في العمل؟ سيبدأ ايجار السيد هاندريك الاسبوع المقبل. لكنه لن يصل باكراً.

- بامكاني ان ابدأ في الحال. ماذا لو انتقلت الى هنا مع العائلة في عطلة الاسبوع، لأباشر صباح الاثنين؟

- حسناً. لدى خروجك من هنا، مرّي على مكتبي. خادمتي كاثي ستأخذك لزيارة القصر. هل لديك سيارة؟

- نعم.

وتذكرت جينيفر كيف اصرّ عليها والدها ان تأخذ دروساً في القيادة، قدمها لها هدية في عيد ميلادها الثامن عشر. وكيف انها نجحت وحصلت على اجازة السوق من أول مرّة. سيارة والدها تدمرت كلياً في الحادث، لكن كان لديه سيارة قديمة يستعملها للذهاب الى العمل. وهذه السيارة هي الآن تحت تصرف جينيفر.

كانت كاثي، خادمة السيدة لانيون، امرأة مسنة. ولما وصلت جينيفر، لمحت في وجهها ملامح الشفقة.

- صباح الخير.

مدت كاثي يدها الكبيرة التي تبدو ضعف يد جينيفر وقالت لها:

- كيف باستطاعتك الاهتمام بهذا المنزل الكبير، وحدك؟ انت نحيفة ونحيلة!

عضت الفتاة على شفتيها وقالت:

www.elromancia.com

- العمل الكثير لا يرعبني.

- لحسن الحظ، والاّ لما كنت موظفة عند السيدة لانيون.

خرجت كاثي من المكتب المكدس بالملفات ودفاتر المحاسبة وقالت لجينيفر:

- اعتقد بأنك تودين رؤية شقتك الجديدة؟

حملت كاثي رزمة المفاتيح وخرجت امام جينيفر، متوجهة نحو السيارة وقالت:

- اعذريني اذا قلت لك بأنني مندهشة كلياً لأن السيدة لانيون وظفتك عندها. لكن المعاش الذي تقدمه ليس مرتفعاً، ولذلك لا يمكنها أن تكون صعبة في الاختيار.

- شكراً.

لم تعرف جينيفر ان كانت حزينة أو فرحة من كلام كاثي وملاحظاتها المباشرة، فأجابتها بعد تردد:

- اؤكد لك بانني قادرة على القيام بالعمل المطلوب مني على احسن وجه.

هزت كاثي كتفيها وقالت:

- ان تكوني قادرة على القيام بهذا العمل ام لا، هذا لا يهمني. لكن الغريب في الأمر، ان السيدة لانيون تختار غالباً خادمات بعمر معين، ولسن صبيات مثلك... بخاصة في وجود رجل في الجوار.

دهشت الفتاة وقالت:

- هل تتحدثين عن السيد هاندريك؟

جلست كاثي في السيارة واطلقت زفرة مستاءة وقالت:

- طبعاً. وهذا الرجل شخصية مرموقة، صدقيني. وسيدتي كادت

ان تفقد صبرها قبل ان يوقع على سند الايجار.

قالت جينيفر بلطف ونعومة:

- آه بدأت افهم.

ادارت كاثي المحرّك، ثم قالت:

- آمل أن تكوني قد فهمت كل شيء. ومن الأفضل ان تتحاشي المشاكل، من البداية. فالسيدة لانيون تعتبر ان هذا الرجل اصبح ملكها منذ ان وقع نظرها عليه.

- لن اكون منافستها، كوني اكيدة واطمئني من هذه الناحية.

- لن تتمكني في كل حال. لو كانت السيدة لانيون تشك ثانية بأي خطر لكنت ما تزالين عاطلة عن العمل.

بريق غاضب لمع لحظة في ذهنها، لكن يكفيها ما لديها من هموم في هذه المرحلة. ولأول مرة وجدت ان شكلها الذي يشبه «الفأرة» قد افادها بشيء على الأقل. وصلت اخيراً الى قصر الصنوبر وهو مبنى واسع ومعقد. مؤلف من عدة اجنحة تحيط بساحة كبيرة ومحاط بغابة كثيفة من الصنوبر واليرز. قلب جينيفر انقبض لدى اكتشاف القصر. كل الغرف تحتوي مدافىء وارضه مبنية من ألواح الخشب اللماعة. الأثاث انيق لكنه ضخم وكثير.

المطبخ من الطراز الحديث، أثاثه من خشب الصنوبر الطبيعي. وفي الغرفة المجاورة التابعة، ثلاجة كهربائية ضخمة. ولا شك واجب جينيفر ان تملأها يومياً بالطعام.

فجأة قالت كاثي:

- المنزل تفوح منه رائحة الرطوبة ويحاجة ان يسكنه احد. يجب اشعال النار في جميع الغرف، وبشكل دائم. لقد قلت لك

ان كل شيء هنا قديم للغاية. ويتطلب العمل الكثير.

ـ نعم. انت على حق. لكنني معجبة بهذا المكان المليء بالذكريات والأناقة. وسيبدو رائعاً متى اهتم به احد.

ضحكت كاثي وقالت:

ـ انت، طبعاً؟ لكن دعيني ان اقدم لك نصيحة: كوني باردة تجاه هذا المنزل ولا تتعلقي به كثيراً. أنا اعمل لدى السيدة لانيون، منذ سنوات عديدة، ورأيت الكثير من الخدم مرّوا من هنا. افعلي ما يطلب منك وخذي حقك. لا تشعري بالحماس، فلن تجدي احداً يشكرك على ذلك.

حاولت جينيفر الابتسام، لكن سخرية كاثي ازعجتها. منذ متى تعمل كاثي عند السيدة لانيون؟ يبدو انها على معرفة جيدة بسيدتها.

عادت الفتاة الى منزلها بشيء من الانهيار الداخلي. لكنها هنأت نفسها على قبولها الوظيفة بخاصة لدى رؤية المسؤولة الاجتماعية بانتظارها. استقبلت العمة ميري الزائرة بوجه جاف، اذ لم تتعوّد ابداً الاتكال على اعانة الدولة.

اللقاء كان صعباً، لأن المسؤولة الاجتماعية لم تصدق بأن جينيفر قادرة حقاً أن تأخذ على عاتقها مسؤولية العائلة، لكنها اصغت الى مشاريع الفتاة، ثم قالت لها اخيراً:

ـ لكن هذا العمل الذي ستقومين به لن يوفر لك العيش بسهولة.

القت جينيفر حولها نظرات قلقة، تحاول ايجاد رد مقنع. وأخيراً قالت:

ـ كلا، لكن عندي وقت فراغ كبير سيسمح لي بفتح وكالة صغيرة للطبع على الآلة الكاتبة.

ـ آه، فهمت...

لم يبد على المسؤولة الاجتماعية الاقتناع، فظلت تطرح عليها الأسئلة المحرجة، وجينيفر تجد رداً سريعاً كل مرة حتى انسحبت المرأة، واعدة بالمجيء في الأيام المقبلة.

ولما خرجت، قالت العمة ميري بوجه مرتبك:

ـ آمل ألّا تكوني قد خدعت هذه المرأة، يا جينيفر. هل انت متأكدة بأن الوكالة التي ستؤسسينها ستجد الزبائن؟

اجابت الفتاة مرتبكة:

ـ اوه... كلا لست اكيدة. لكن لا بد أن يوجد في الجوار اناس لا يستطيعون توظيف سكرتيرة بمعاش كامل، وهم بحاجة لبعض الخدمات الصغيرة. سأضع اعلاناً بهذا الخصوص في الجريدة المحلية.

زمت العمة ميري شفتيها وقالت:

ـ آمل ألّا تكوني مخطئة في تكهناتك الطموحة. وآمل أن ينال اعلانك نجاحاً، يا ابنتي. لكن المسؤولة الاجتماعية ليست مخطئة ابداً. تيم ينمو بسرعة، ومدرسته ستكلف غالياً في المستقبل. وفي قصر الصنوبر، سيكون عملك كبيراً جداً بالنسبة الى المعاش الذي ستحصلين عليه.

ـ هذه الوظيفة ستؤمن لنا سقفاً، وهذا أهمّ ما في الأمر.

ترددت العمة ميري لحظة، ثم مدت يدها الى حقيبة يدها السوداء، وقالت:

ـ لقد كتبت الى عدة مؤسسات تهتم بالعجزة. انت كريمة جداً، يا جينيفر، لكنني لا اريد ان اكون عبئاً اضافياً.

- ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

نظرت جينيفر الى تلة الرسائل في يد العمة، وقرأت عنواناً:

- «بيت الراحة للعجزة»، آه، عمتي ميري، كيف باستطاعتك ان تفعلي ذلك؟ مكانك بيننا وأنت تعرفين ذلك جيداً.

- كلا. مكاني كان قرب والديك العزيزين، لكنني سمعت ذات مساء ما قالته بربارة. كلامها مقنع...

صرخت جينيفر مذعورة:

- عمتي ميري، لا تبالي بكلام بربارة. لست انا من رأيها. اننا مختلفتان كلياً.

- لقد لاحظت ذلك. لو كنت تشاطرينها الرأي، لما كنا نتناقش الآن. لكن بربارة ليست مخطئة تماماً، حتى ولو كانت كلماتها جارحة، ألا تعتقدين ان تيم عبء كاف عليك؟

اجابت جينيفر بحدة:

- كلا. لا يمكنك ان تتركيني وحدي. العمل الذي سيواجهني في القصر سيتطلب مني جهداً ووقتاً كبيرين، فبأمكانك مساعدتي في تحضير الطعام، وان تكوني هنا لدى عودة تيم من المدرسة...

- سأكون سعيدة ان افعل كل ما في استطاعتي لأساعدك، يا حبيبتي.

ابتسمت العجوز بفرح وأضافت تقول:

- لست عاجزة، وبامكاني ان اساعدك في اعمال المنزل.

ارتمت جينيفر في احضان العمة وقبلتها. بعد قليل، قالت العجوز بفرح كبير:

- هيا، هيا، يا ابنتي.

خلال الشهرين التاليين، جرت الأمور بشكل جيد بل افضل مما كانت جينيفر تتوقعه: الانتقال الى قصر الصنوبر مرّ من دون صعوبات، وتيم بدأ يتكيّف مع مدرسته الجديدة، لكن من حين الى آخر كانت الكوابيس تلاحقه في الليل وكلها تعود الى المأساة التي حدثت لوالديه.

كان عمل جينيفر في قصر الصنوبر شديد السهولة. فالسيدة بيتي تأتي مرّتين في الاسبوع للقيام بالأعمال المنزلية الكبيرة، لكنها احياناً تهمل اموراً كثيرة. ولحسن الحظ فان صاحب المنزل ليس من الرجال الذين يبحثون في الزوايا عن آثار للغبار!

وكلما فكرت جينيفر بجون هاندريك، كان الاحمرار يعلو خديها. كان مختلفاً كثيراً عن المستأجر الذي توقعته في مخيلتها. كان صغير السن، وسيماً، ذا شعر اشقر وعينين زرقاوين مبتسمتين.

وصل الى القصر من دون اعلام جينيفر. فذات صباح لمحت الفتاة سيارة غريبة في الساحة، أسرعت لاستقبال القادم. لأول مرة ستضع مسؤوليتها على المحك. لم يكن كل شيء جاهزاً ذلك اليوم. الأسرّة ما تزال من دون اغطية ولا خبز ولا حليب في المطبخ.

دخلت الى الجناح الأساسي، وتوجهت نحو المطبخ، وجسمها يرتجف خوفاً وانفعالاً. وجدته هناك منحنياً أمام الفرن يحاول اشعاله، من دون جدوى. اخذت مكانها بعدما اعتذرت بتلعثم. لكنه قهقه ضاحكاً وقاطعها بحركة من يده وقال:

- انا نفسي، كنت اجهل بأنني سآتي اليوم الى هنا. فكما ترين، انا مزاجيّ، يا آنسة....

- كلايتن، جينيفر كلايتن.

- جون هاندريك.

صافحها باحترام وقال:

- ما دمنا سنرى بعضنا غالباً، فلا حاجة للمجاملات. أنا افضل ان اناديك جينيفر.

- انا لا امانع قطعاً.

لكنها كانت مرتبكة للغاية، فاحنت رأسها وانسدل شعرها الأشقر الطويل ليغطي ملامحها.

كانت الفتاة تتوقع شخصية غامضة، تثير الخجل فيها. لكن لا بد انها اطلقت العنان لمخيلتها الخصبة، اكثر من اللزوم. وابتسمت في اعماق نفسها وأدركت بأن العمل لديه سيكون سهلاً للغاية.

كاثي ايضاً اخطأت فيما قالته عن سيدتها، بأن هذه الأخيرة لها نوايا معينة تجاه المستأجر الجديد. فالسيدة لانيون لم تتصل بالقصر سوى مرة أو مرّتين للتأكد بأن الأمور تسير على ما يرام. والحديث كان جدياً. كما انها لم تقم مرّة واحدة بزيارة المكان. لو كان حقاً جون يجذبها، لرأتها جينيفر مراراً في القصر.

وبعد اقامته الأولى، التي لم تدم غير ايام معدودة، اختفى جون لمدة ثلاثة اسابيع. ثم، ذات مساء، اتصل هاتفياً معلناً عن مجيئه في عطلة الاسبوع المقبل. هذه المرّة، استعدت جينيفر لاستقباله، اذ وضعت المناشف النظيفة في الحمام وزينت الصالون بالأزهار البرية الجميلة. كما اشعلت النار وحضّرت روستو البقر مع الخضار، وملأت الثلاجة بما طاب ولذّ من المأكولات.

ومنذ ذلك الوقت كان جون هاندريك يأتي الى المنزل دائماً لتمضية

عطلة نهاية الاسبوع. وكانت جينيفر تنتظره بفارغ صبر. طبعاً لم تكن ساذجة وحمقاء لما يحصل لديها من شعور داخلي تجاه سيد المنزل. لقد سبق وغازلها رجال عدة من قبل، لكنها لم تكن تعطيهم اي اهمية... فتتحول العلاقة فوراً الى صداقة عميقة أم عابرة. لكن الشعور الذي ينمو ويكبر في داخلها الآن هو احساس جديد لم ينبض له قلبها من قبل. هل هذا الاحساس مشترك بين الفريقين؟ يبدو ان جون يستحسن رؤيتها، لكن كأي فتاة اخرى. فما زال رجلاً غريباً بالنسبة اليها. كل ما تعرفه عنه انه يعمل في لندن، لكنها تجهل كلياً من أين يعيش أو يكسب قوته. ولم يكلمها ابداً عن حياته وآرائه...

وغالباً ما تساءلت جينيفر ان كانت لجون صديقة حميمة أو خطيبة يخطط للزواج منها في المستقبل. لكنها سرعان ما ابعدت هذه الفكرة عن مخيلتها لئلا تشعر بالغيرة أو الصدمة.

اسئلة عديدة بقيت بلا جواب في ما يتعلق بهذا المستأجر الغريب. احدى غرف الطابق الأرضي تحولت الى مكتب، داخلها آلة طباعة ما تزال تحت غطائها من دون استعمال. هل يستعملها في الليل، ولأي عمل؟ قررت ان تستعلم المزيد عنه وبطريقة سرية وكتومة. لكن، هل سيأتي كعادته؟ لم يرسل اليها خبراً عن مجيئه. ربما اتصل بها هاتفياً بينما كانت في السوق تشتري بعض الحاجيات الضرورية للمنزل.

عطلة الاسبوع تمضي دائماً بالطريقة نفسها. يصل جون الجمعة مساء، يتعشى مع جينيفر وعائلتها، ثم يأتي الى شقتها لرؤية العمة ميري وتيم، ويسهر معهم أمام شاشة التلفزيون ام يلعب بالورق. ويبدو دائماً كأنه مشتاق للحياة العائلية.

السبت، يفيق جون من نومه متأخراً ويحضّر لنفسه فطوراً ضخماً

يتناوله حوالى الظهر. بعد الظهر، يخرج. احياناً يأخذ الكلب في نزهة في قلب الغابة، أو يدعو تيم الى حضور السينما معه. في المرة السابقة اخذ جينيفر في نزهة قصيرة في سيارته، فكان فرحها عظيماً لكونها بجانبه في سيارته الفاخرة. كان يقود بحذر ونادراً ما يتكلم. ولم تحاول الفتاة ابداً أن تقطع عليه الصمت لتكلمه. كل ما كانت تأمله، ان يقول لها في نهاية بعد الظهر:

ـ لماذا العودة باكراً الى المنزل، تعالي نذهب الى مطعم هادىء، نتناول العشاء ونرقص.

لكن، لا شيء من هذا حدث بالطبع بل اعادها ببساطة الى المنزل، وقبل ان تنزل جينيفر من السيارة، سألته بلهجة خجولة:

ـ هل تحب تناول العشاء معنا في الشقة؟

التفت اليها، شارد الذهن، ثم ابتسم وأجاب:

ـ ليس اليوم، يا جينيفر، سأعود الآن الى لندن. وأرجو ان تجددي هذه الدعوة.

ساعدها في الخروج من السيارة، فراحت جينيفر ترتعش لمجرد ان لمس يدها، وظلّت جامدة مكانها، من دون حراك. وفي داخلها صوت الحب ينادي قائلاً: «عانقني».

لكن الباب انفتح وامتد النور في ارجاء الساحة واختفت هذه اللحظة الساحرة. نادت العمة بصوت مرتفع قائلة:

ـ هل هذه انت، يا جينيفر؟

قال لها جون حينذاك:

ـ عودي الى المنزل. سآتي عما قريب.

امضت الفتاة الاسبوع بكامله تتذكر وعده بالعودة قريباً. وكانت

تأمل في كل لحظة ان يتصل بها هاتفياً. لكن مضى اسبوع بكامله ولم تتلق منه اي مكالمة.

وبينما كانت تقود سيارتها عائدة الى القصر، بعد زيارة قصيرة الى مدرسة تيم، اسرعت جينيفر في القيادة، خائفة ان يكون جون قد اتصل بها في غيابها. وقبل ان تصل الى مشارف القصر، لمحت فيفيان لانيون، صاحبة القصر، على ظهر حصان تتقدم باتجاهها. خففت جينيفر سرعتها، ثم رأت سيدتها تهبط عن حصانها وتقترب منها. ارتعبت جينيفر في الحال. هل عرفت بنزهتها القصيرة مع جون؟

ـ هذه انت اذن يا جينيفر؟ حاولت الاتصال بك، لكنني لم اجدك.

ـ كنت ازور معلمة تيم. ولا شك ان العمة ميري تأخذ قيلولتها كالعادة، ولم تسمع رنين الهاتف.

نظرت اليها فيفيان لانيون بانزعاج وقالت:

ـ خففي من التحدث عن التفاصيل. اريد ان اعلمك بوصول السيد هاندريك. ليكن كل شيء جاهزاً، من فضلك.

وبإشارة عابرة من رأسها، ودعت خادمتها، ثم امتطت حصانها وولت ذاهبة.

صعدت جينيفر الى سيارتها، وتهيأ لها انها تلقت دوشاً بارداً. هكذا اذن، جون اتصل بفيفيان لانيون. ربما يحب النساء الناضجات والخبيرات. لكن، ربما حاول جون الاتصال بها مراراً من دون جدوى، فاضطر بعدها الى الاتصال بالسيدة لانيون، كي توصل لها الخبر. استعادت شجاعتها. فالمهم الآن انه آت، وربما سيكونان وحيدين هذه المرة.

ولما وصلت جينيفر الى المنزل، اسرعت لتوّها الى المطبخ حيث اشتمت رائحة شهية تفوح منه. لا شك ان العمة ميري حضّرت وجبة دجاج بالصالصة. قررت جينيفر الانتظار حتى وصول جون لتتناول معه العشاء. ستقول له، ضاحكة، وبطريقة مباشرة: «لقد احضرت لك هذا الطعام لكن ما زالت دعوتي قائمة».

قرب خزانة المطبخ مرآة كبيرة، وقفت جينيفر امامها، غير مسرورة وسألت نفسها: لماذا انا هكذا عادية وسخيفة؟

وقررت، بانتظار وصول جون، ان تستحمّ وتغسل شعرها. ثم اعلنت للمرآة بتحدّ قائلة: لن يتمكن من معرفتي، بعد ذلك.

تعرقلت خطتها بوصول تيم من المدرسة جائعاً يريد ان يأكل في الحال. اجلسته امام طاولة المطبخ، وقدمت له الخبز المحمص المدهون بالزبدة والمربى، وزجاجة حليب باردة. ثم دخلت عليها العمة ميري، تبحث عن نظارتيها، وبصبر وانتباه، وجدتها جينيفر قرب المدفأة. ثم القت نظرة الى ساعة يدها. سيصل جون في أي لحظة الآن. ربما يتسنى لها القليل من الوقت لأخذ حمام سريع وفكرت: وما دام سيتناول العشاء معنا، بامكاني ان احضر له غرفته وأضع الشراشف فيها بعد، عندما يكون مع تيم يلعب الورق.

جففت شعرها بسرعة ومشطته بفرشاة ناعمة، ثم فكرت بما سترتديه. لم تختر فستاناً لئلا تبدو شديدة الأناقة واصطناعية، انما ارتدت سروال جينز وقميصاً مقلماً، لاظهار نحافة جسمها. هزت رأسها بصمت وهي تتوقع سماع محرك السيارة في أي لحظة.

ثم نزلت الى المطبخ ورأت من النافذة سيارة امام الباب الرئيسي. عضت على شفتيها ومدت السفرة، ثم خرجت من المطبخ من الباب

الخلفي، كالعادة، بغية جلب وعاء تضع فيه الدجاجة المطبوخة.

كان مساء ربيعي، تهب فيه ريح ناعمة... دارت حول المنزل، لتدخل من الباب الرئيسي عندما سمعت ضجة في المطبخ. لا شك انه يحاول اشعال الفرن متسائلاً لماذا جينيفر لم تحضّر شيئاً.

وبصمت اسرعت نحو الباب، فتحته وقالت:

- مفاجأة! هل انت...

توقفت مكانها، فاغرة الفم، مندهشة ومرتعبة في آن واحد. فالرجل الذي كان امام الفرن والذي نهض الآن واقفاً ملتفتاً نحوها، لم يكن جون هاندريك. انما كان رجلاً اطول منه، ذا وجه ناعم ومتعجرف. شعره طويل وذقنه بارزة يرتدي سروالاً قديماً وكنزة غامقة. نظرت الى هذه التفاصيل كأن المشهد يدور ببطء كبير وكأن حياتها متعلقة بهذا الموقف.

فجأة بدأت ترتجف. من يكون هذا الرجل الغريب؟

صرخت بصوت لاهث:

- من انت؟ اين جون؟

لاحظت ردة فعل هذا الغريب لمجرد سماعه كلمة جون. ارتفع حاجباه السوداوان وتقدم منها، فاحتلها الخوف، وتخيلت فجأة جون ممدداً في مكان ما، والدم يكسو جسمه، بينما هذا الانسان يسرق المنزل.

أطلقت جينيفر صرخة عميقة ودفعت بالصحن الذي في يدها، على وجه هذا الرجل المجهول!

٢ـ من هذا الرجل؟ ماذا يفعل هنا؟ كيف تقاومه وحدها؟ أين جون؟ وماذا لو اصابها مكروه؟

... طبعاً، لم تصبه. مرّ الصحن بجانبه وتفرقع على الجدار وتحطم اربا. كل محتواه لطّخ ورق الجدران. ولم يعد بيد جينيفر اي سلاح الآن. وهو ما زال يتقدم منها، عيناه تلمعان غضباً. انصبّ نظر الفتاة على سكاكين المطبخ المعلقة فوق المجل، ففهم الرجل نواياها وقال:

ـ آه! لا، لا، يا ايتها الفتاة الحمقاء!

وقبل ان تقم بأي حركة كان قد دفع الطاولة جانباً وامسكها من كتفيها، بعنف كبير مما جعلها تصرخ لشدة الألم. ثم قال لها:

ـ حسناً. والآن، من انت؟ وماذا تفعلين هنا؟

اندهشت اكثر. صوته لا يدلّ على انه مجرم أو لص، لأنه كان مليئاً بنبرة دافئة وبانفعال يدلّ على انه رجل مهذب.

اجهشت بالبكاء ورددت تقول:

ـ ماذا فعلت بجون؟

ـ جون؟ انه في لندن حسب معرفتي.

ـ لكن، كان مفروضاً فيه المجيء. لقد ترك لي رسالة بهذا الخصوص.

هزّ الرجل الغريب رأسه بسلطة وقال:

ـ طبعاً لا. افهمته بأنني سأستعمل المنزل لعطلة الأسبوع، ولا يجرؤ ان يكون متطفلا الى هذا الحدّ.

ـ انت المتطفل.

كانت ترتجف بشدة، ولو لم يكن ممسكاً بها، لخارت عل قدميه.

اضافت تقول:

ـ انت في منزله. ومعك سيارته. لماذا؟

اطلق شتيمة، ثم اضاف:

ـ هكذا اذن؟

ران صمت طويل، قطعه فجأة عندما اضاف يقول:

ـ هل قال لك جون ان هذا المنزل يخصه؟ اجيبي والاّ خلعت عنقك!

بالرغم من تهديداته القوية، شيء ما في صوت هذا الرجل كان يجذب جينيفر. الرعب يحتلها ومع ذلك ظلّت تحدق فيه وتدرس ملامح وجهه مفصلا. عيناه الرماديتان الباردتان مثل البحر في الشتاء، خطرتان كالامواج القوية، تحدقان اليها بغيظ. وبعد قليل استعادت رشدها وقالت:

ـ ارجوك ان تتركني. اعتقد ان هناك سوء تفاهم.

ـ طبعاً. نعم. لكنك لم تردي على سؤالي بعد. هل قال لك ابن

عمي جون ان منزلي هذا خاصته؟

جمدت جينيفر مكانها كالحمقاء وقالت:

- منزلك؟

- نعم. اقصد أنا من يدفع الايجار. وكذلك السيارة ملكي أيضاً...

القى الرجل نظرة سريعة حوله في المطبخ، ثم تابع يقول:

- وكذلك دفعت غالياً لأجد حارسة تهتمّ بالمنزل. وحسبما أرى الآن، هذا المال ذهب خسارة. لا يوجد حتى شراشف في سريري.

همست جينيفر والغثيان بدأ يحتلها:

- أنا آسفة... انت... هل بامكانك ان تقول لي اسمك؟

- هاندريك. ماكس هاندريك.

رمقها بنظرة ظالمة وقال:

- والآن، هل ستشرحين لي ماذا تفعلين هنا؟ في اي مكان، يعثر جون على عشيقة!

فجأة لمح على الأرض قطع الزجاج المتثور وبقايا الدجاج المطبوخ، وقال:

- تتقن فن الطهي، أيضاً!

ملأ الاحمرار وجه الفتاة التي قالت بارتباك:

- ما تفكر فيه خطأ فادح.

- لا؟ اذن اخبريني بكل شيء.

قدم لها كرسياً لتجلس عليه، وعضت جينيفر على شفتيها واجابت تقول:

- لم يقل لي جون انه صاحب هذا المكان. لكنني افترضت بأن...

قاطعها بقوة وقال:

- كنت مخطئة. واذا كنت تعتقدين انه بامكانك الذهاب والمجيء كما يحلو لك، فانت مخطئة كلياً. لقد استأجرت هذا المنزل لأجد فيه الوحدة والهدوء والطمأنينة. ولا أرغب برفقة نسائية. والآن نظفي المكان وارحلي من هنا.

- لكن دعني اشرح لك...

- لا ضرورة لذلك. أنا آسف لخيبة املك تجاه جون. كان يجب عليه ان يقول لك ان المنزل والسيارة كانا تحت تصرفه مؤقتاً، فقط خلال اقامتي في الخارج.

- ليس هذا هو الأمر...

قاطعها وقال:

- لن أناقش مطولا. منذ ساعات معدودة، كنت ما ازال في الطرف الآخر من العالم. وصلت الى لندن بعد ظهر اليوم آملاً ببعض الراحة. لكنني اضطررت ان اشعل بنفسي الماء الساخن كي استطيع ان آخذ حماماً.

لم تشعر جينيفر بالخجل كالآن. بدلا من ان تستعد لاستقبال جون، كان يجب عليها ان تؤمن الماء الساخن وتشعل الفرن في المطبخ وتعد السرير، فقد وُظفت لهذه الغاية، وها هي الآن قد اهملت عملها، ولا شك ان هذا الرجل الغريب الغاضب سيشكو امرها امام السيدة لانيون.

نهضت من مكانها كالمجنونة، متسائلة كيف ستصلح الوضع، فقالت:

- انا آسفة لاستقبالك بهذه الطريقة، يا سيد هاندريك. سأنظف كل شيء قبل ذهابي.

هزّ رأسه موافقاً وغادر المطبخ... لملمت جينيفر الزجاج المحطم، ثم

كنّست ومسحت المكان وغسلت يديها وخرجت. . . وما ان وصلت الى اسفل السلالم حتى توقفت لتخلع حذاءها. وصعدت السلالم من دون ان تحدث أي ضجة. في الممر، فتحت احدى الخزائن واختارت شراشف وبيوت مخدات، ثم توجهت على رؤوس اصابعها الى الغرفة الاساسية. اصغت السمع. الغرفة صامتة كلياً. فجأة سمعت صوت المياه قرب الغرفة. فعرفت للحال ان السيد هاندريك يأخذ حماماً. اطمأنت جينيفر لأنها لا تريد اي لقاء آخر مع هذا الرجل المرعب.

وبينما كانت تضع الشراشف على السرير، راحت تلوم نفسها وتقول في قلبها: «لقد تصرّفت بحمق. كيف تصورت ان جون هو مستأجر هذا القصر».

انسدل شعرها الطويل على وجهها بينما كانت تنحني لتوضب السرير. فاعادته الى الوراء بحركة غاضبة. لقد خاب املها. كانت تنتظر بشغف، وفارغ صبر عطلة هذا الاسبوع مع جون! لماذا لم يقل لها شيئاً؟ ربما كان يعتقد بأنها ستعرف بوجود ابن عمه عاجلا ام آجلا. على الاقل لم يكن جون يعتبرها كالآلة تطيع الأوامر من دون ان تطرح اسئلة.

فجأة، تهيأ لها بأنها لم تعد وحدها. انتصبت واقفة والتفتت باتجاه غرفة الحمام، فرأت ماكس هاندريك واقفاً على العتبة. ابتسم بسخرية، وشعرت جينيفر بنظراته الرمادية الباردة تحدق بها مفصلا. كانت تفضل لو لم تكن ترتدي هذا السروال الضيق والقميص الشناف، والشعر المنسدل. . .

لاحظت انه حلق ولم يعد يبدو متشرداً لكنه ما زال يبدو قاتماً ومهدداً. لا يشبه بشيء سكان البيوت الجبلية الهادئة. شعره مشعث فوق جبينه. ولا يرتدي سوى مئزر الحمام مفتوحاً على صدره.

ابتلعت جينيفر ريقها بعصبية، فلاحظ ماكس ردة فعلها وقال ساخراً:

ـ ماذا هناك ايضاً؟ لست اذن ملك جون الخاص؟ هل انت منسجمة مع هذا البيت؟

أجابت جينيفر وهي تقوم بجهد للمحافظة على هدوئها:

ـ نعم. لكن ليس كما تعتقد.

ـ طلبت منك ان تنظفي المطبخ وترحلي. وها انا اجدك في غرفتي. هل كنت تتوقعين عطلة أسبوع غرامية مع جون؟

ظلت جينيفر صامتة، فرمقها بابتسامة ساخرة وأضاف يقول:

ـ لكن ما دمت قد حرمتك من عشيقك، فبامكاني ان احل مكانه. انا اكيد بأنني استطيع ان اقوم بهذا الدور، على اكمل وجه.

تقدم خطوة منها، فرجعت جينيفر الى الوراء غريزياً. لكنها تعثرت بطرف السرير ووقعت فوقه. فقال هامساً:

ـ يا لهذه الصدفة المناسبة! هل انت مستعجلة، ام باستطاعتك تحمل الوضع الى ما بعد العشاء؟

ـ امنعك من اهانتي وشتمي!

نهضت عن السرير ونظرت اليه وجهاً لوجه وعيناها تلمعان ذعراً. وقالت:

ـ انت رجل متوحش، لم يسبق ان التقيت بمثله من قبل. اولا، جون ليس عشيقي. ولو كان حقاً عشيقي كما تتكهن انت لماذا تفكر يا سيد هاندريك، ان بامكانك الحلول مكانه؟ الحقيقة انني اراك رجلا متعجرفاً، وغير جذاب كما تتصور. . .

توقفت لتستعيد انفاسها. كان يحدق بها، قاطب الحاجبين، مهدداً.

اضافت تقول:

- ليست الرغبة هي التي تدفعني الى دخول غرفتك، بل الواجب، صدقني. انا حارسة المنزل.

- آه لا! هذا مستحيل!

- بلى، اكيد. اتّصل بالسيدة لانيون واسألها.

- سأتصل بها في الحال، لكن لأمر مختلف كلياً.

احتلها الخوف وقالت:

- الا تريد ان تحتفظ بي كحارسة!

- طبعاً لا!

بدا وجهه بارداً وأضاف يقول:

- كما سبق وقلت لك، جئت الى هنا للبحث عن الهدوء والصمت، لاتمكن من انهاء عملي. وانا بحاجة الى انسان كتوم وقادر. وانت لا تملكين اي من هاتين الصفتين، حسبما أرى. واتساءل كيف تمكنت السيدة لانيون من توظيفك هنا.

ران صمت طويل، ثم قالت جينيفر متلعثمة:

- سيد هاندريك، ربما اعطيتك نظرة سيئة عن مقدرتي، لكن...

قاطعها قائلا:

- ليس عندي «لكن». حتى لو اتبعت تعليماتي حرفياً، لا ارغب في الاحتفاظ بك هنا.

- انت غير عادل.

- العالم الذي نعيش فيه غير عادل، الا تعرفين ذلك؟ اراك فتاة صبية، طائشة وعديمة الخبرة. لكن اطمئني، سأقول للسيدة لانيون ان لديّ تدابير اخرى. لن احدثها عمّا حدث الآن، وسأعطيك رسالة تقدير.

حدقت اليه جينيفر، بجمود ووجه شاحب. منذ ساعة كانت حياتها تبدو هادئة وسعيدة. لكن كلمة من هذا الرجل ستضعها في موقف كارثي. كيف ستبلغ الامر الى العمة ميري والشقيق تيم؟

- لا تنظري بفراغ هكذا، ستجدين عملاً آخر بسهولة.

اجابت بطريقة آلية:

- ليس هذا هو المشكلة، انما الشقة. عائلتي وانا... انا... لا اعرف ماذا سيحلّ بنا.

- لديك عائلة؟

- عمّتي وأخي الصغير. لقي والداي حتفهما في حادث سيارة منذ ثلاثة اشهر.

سألها غير مصدق:

- وهل انت تعيلين العائلة؟

اجابت بتحدّ وشفتاها ترتجفان:

- ليس لديّ في الحياة الا عائلتي هذه. واريد ان نبقى معاً. لذلك هذا المكان كان مناسباً لنا، حتى ولو كان معاشي غير مرتفع. وكنت انوي ان اجد عملا اضافياً كضاربة على الآلة الكاتبة، لأكسب المزيد.

قال بصوت ناعم:

- آه! يا الهي!

ران الصمت، خلاله تنهد الرجل ومدّ يده الى شعره بحركة عنيفة، ثم قال:

- سأرتدي ملابسي الآن. انزلي وانتظريني. حضّري القهوة. هل تعرفين اعداد القهوة؟

احمرّ وجهها وقالت:

- نعم، لكن...

- ارجوك لا اريد ان اسمع كلمة «لكن» بعد الآن. الا يمكنك ان تأخذي امراً من دون مناقشة؟

- بلى.

- اذن، برهني عن ذلك.

آه كم كانت تكرهه!

وبينما كانت منهمكة في المطبخ لتحضير القهوة، لم يتوقف عقلها لحظة واحدة عن الدوران. هل سيفكر السيد هاندريك بما سمعه عن لسانها، ويعطيها حظاً ثانياً؟ هل يحقّ لها ان تحرم العمة ميري وتيم من سقف بحجة انها لا تستطيع تحمل ماكس هاندريك؟

اطلقت زفرة عميقة وهي تحدق بالنافذة، شاردة الذهن، قاتمة القلب. في هذه اللحظة، دخل الرجل وسكب لنفسه فنجان قهوة، احتسى منه جرعة وهزّ رأسه وقال:

- انه لذيذ. هذه نقطة لصالحك.

قالت جينيفر بصوت هادىء:

- لكنك لم تنس الباقي على ما أظن. المنزل لم يكن حاضراً لاستقبالك. وارجوك ان تعذرني، واعدك بأن ذلك لن يتكرر مرة ثانية.

اجاب بلهجة جافة:

- من دون شك. لأنني أنوي البقاء هنا طويلا. لكن السؤال المطروح هو اذا كنت انت ستبقين ايضاً ام لا.

- الامر هذا بين يديك. انت صاحب القرار.

لم تجرؤ جينيفر على مواجهة نظراته. وظلّت تحدق بجدران المطبخ. فقال:

- وهذا ما يزعجني.

ثم فجأة، سألها:

- حدثيني عنك.

- وماذا تريد ان تعرف بالضبط؟

- كل ما تحبين قوله.

ملأ فنجانه مرّة ثانية وأضاف يقول:

- احب ان أعرف اولاً كيف تجدين نفسك في هذا الوضع. انت لا تطابقين صورة الحارسة العادية...

حدق بالجدار الذي وقع عليه صحن الدجاج واضاف يقول:

- ربما تطابقين صورة فتاة تزوّج لاسطوانة مشهورة!

حاولت جينيفر ان ترد عليه بلهجة خفيفة، حين قالت:

- هل تعرف ان البطالة رائجة في هذه الأيام؟ ويجب على المرء أن يكتفي بما يجده.

رمقها بنظرة ساخرة وقال:

- اذن، هذا افضل ما قُدم لك؟

اجابت ببساطة:

- كنا بحاجة الى سقف، الى منزل. عندما مات ابي كانت الديون متراكمة. فاضطررنا ان نبيع كل شيء حتى منزلنا، لكي نفيها. ومن الصعب جداً ايجاد سقف مع ولد صغير في هذه الأيام.

- اخوك الصغير، كم عمره؟

- احدى عشر سنة. وعمة والدي بلغت السبعين. هي اقترحت عليّ ان تدخل مأوى العجزة، لكن ذلك كان يبدو لها امراً رهيباً. وانا لم اكن استطيع ان اضع تيم في مدرسة الايتام.

www.elromancia.com

بدأت جينيفر ترتجف لدى تذكرها هذا الكابوس الرهيب وتابعت تقول:

- وكان عليّ ان اجد لهذه المشكلة حلاً ايجابياً. وقصر الصنوبر بدا لي الحلّ الأفضل.

- أليس لديك عائلة اخرى باستطاعتها مساعدتك؟

- لديّ اخت، تكبرني بسنتين.

وادركت في هذه اللحظة انها لم تفكر بشقيقتها منذ ان ذهبت.

فتابعت تقول:

- انها ممثلة. وتلعب حالياً في مسرحية جديدة في لندن.

- اي مسرحية؟

وبصعوبة تذكرت جينيفر عنوان المسرحية وقالت:

- «عصفور في اليد» على ما اظن.

- آه صحيح؟ وما اسم اختك؟ واسمك؟ لا اعتقد ان السيدة لانيون اعطتني اسمك.

- ادعى جينيفر كلايتن. وشقيقتي بربارة اسمها المسرحي «باربي نيكولاس» نيكولاس عائلة والدتي قبل الزواج.

- واسمك أيضاً يليق بأسم مسرحي.

- هذا لو كان لدي طموح في هذا المجال، وموهبة. لكن ليس هذا هو الأمر.

- صحيح؟ اذن ما هي طموحاتك يا جينيفر كلايتن؟ لا تريدين تمضية شبابك في حراسة هذا المنزل، على ما أظن. تأملين في الزواج ذات يوم، عندما تجدين فتى احلامك، اليس كذلك؟

اجابت بعدما بذلت جهداً لتبدو لهجتها غير مبالية:

- ربما.

لكنها فكرت بجون واضطربت واحمرّ وجهها. وبعد صمت طويل، قال ماكس هاندريك بلهجة جافة:

- كلما سمعتك اكثر، كلما اقتنعت بضرورة طردك. وشقيقتك، الا يمكنها مساعدتك؟

- كلا.

امتلأت عيناها كآبة وهي تنظر اليه علّها تجد في وجهه القاتم شيئاً يطمئنها. لكنها لم تجد الاّ الغياب والغضب. فقالت:

- من الأفضل ان ارحل الآن. ستتساءل عمتي ميري عني. ساعود في الغد صباحاً للاهتمام بالنار والموقد. ومهما قررت بخصوصي، سأستمر في القيام بمهمتي ما دام راتبي جارياً.

وبابتسامة موافقة، قال:

- برافو. حتى اختك لما كانت تنجح في قول ذلك، من دون تمرين. ربما لديك مواهب مخبأة، يا جينيفر...

- تصبح على خير، سيد هاندريك.

- تصبحين على خير.

في المطبخ كانت العمة ميري منتظرة عودة جينيفر. وما ان رأت الفتاة، حتى صرخت:

- يا ابنتي العزيزة، اين كنت؟ طعامك اصبح بارداً. تيم وانا انتهينا من الأكل منذ مدة طويلة.

- لا بأس. لقد تعرفت على مديري، المستأجر الجديد.

قطبت العمة ميري حاجبيها وقالت:

- ماذا تقولين، يا حبيبتي؟ الم يكن جون هو المستأجر؟

www.elromancia.com

اجابت بحزن شديد:

- كلا. انه ابن عم السيد هاندريك، الذي سمح له بالمجيء الى هنا خلال اقامته في الخارج.

- آه، فهمت. ولماذا لم يخبرك جون بالأمر؟

- لا شك انه فكّر ان لا أهمية لذلك.

ابتلعت جينيفر عشاءها من دون شهية. واحضرت العمة ميري الشاي، وسكبت لجينيفر فنجاناً وسألتها:

- ومن يشبه السيد هاندريك هذا؟

- يشبه وحشاً، لعدم حساسيته ولشدة تعجرفه.

- جينيفر!

- عفواً، عمتي ميري.

- الظاهر ان هذا الرجل لم يعجبك.

- لم يصدق انني الحارسة هنا. وعندما اقنعته اخيراً بصحة كلامي، بدا حانقاً. آه يا عمتي ميري، اخشى ان اكون قد افسدت جميع الأمور. واخاف ان نصبح مضطرين لمغادرة القصر نهائياً.

فجأة، وضعت ملعقتها جانباً وراحت تجهش بالبكاء.

وبعد مرور وقت قصير، شعرت جينيفر من جديد انها اصبحت طفلة. كانت في غرفتها. ووضعتها العمة ميري في سريرها وحضنتها بشدة الى صدرها حتى لم تعد قادرة على التحرك. ثم جلبت لها فنجان حليب، شربته جينيفر مطيعة قبل ان تنام اخيراً، منهكة من شدة ما بكت وانتحبت.

واستيقظت في صباح اليوم التالي في ساعة متأخرة، وهرعت مسرعة الى القصر لتشعل النار، فدخلت اولا الى المطبخ من الباب الداخلي، من

دون احداث اي ضجة. كانت الغرفة فارغة، لكن فطور الصباح كان معداً. اذن السيد هاندريك نهض باكراً من نومه. توجهت الى غرفة المكتب وطرقت الباب وهي تعدّ في قلبها كلمات الاعتذار لتأخرها. لكن ماكس لم يكن هناك. صعدت السلالم: لا احد. ومن نافذة الممر، لاحظت اختفاء سيارته. الى اين ذهب؟ آه، ربما ذهب عند السيدة لانيون ليشتكي عليها. هبطت السلالم وقلبها قاتم ووجهها شاحب.

كالآلة، وضبت المطبخ، ثم اشعلت النار في غرفة المكتب، وكنستها بالمكنسة الكهربائية. وبينما كانت تعمل، كانت افكارها لا تتوقف لحظة واحدة واليأس يحتلها. كيف ستستطيع ان تجد من جديد وظيفة وبيتاً لهم جميعاً؟

توجهت بعدئذ الى الصالون، ونظرت حولها تتأمل انعكاس اشعة الشمس على الارض الخشبية اللماعة وعلى البساط العجمي. انها تحب هذه الغرفة بأثاثها القديم. ثم توجهت نحو النافذة وفتحت الستائر الداخلية، واذا بها ترى سيارة ماكس هاندريك امام الباب. لم تسمع صوت المحرك. وفكرت بغضب قاتلة في نفسها:

- اذا ازعج العمة ميري او تيم...

رمت ممسحة الغبار واجتازت الممر مسرعة وتوجهت الى باب الاتصال. فسمعت اصواتاً هامسة آتية من المطبخ: صوت تيم الدقيق وصوت العمة القوي، وكذلك صوت ماكس هاندريك. احتلها الغضب. فتحت باب المطبخ فجأة ودخلت. فاحت من الغرفة رائحة القهوة وكان المستأجر جالساً امام الطاولة الكبيرة، مسترخياً بشكل تام.

قالت العمة ميري بهدوء:

- آه، ها انت، يا حبيبتي. كان السيد هاندريك يسألني عن مكان

وجودك.

ابتسم ماكس هاندريك لجينيفر التي قالت بصوت عدائي:

- . . . وانا كنت اطرح السؤال نفسه في ما يتعلق بالسيد هاندريك. هل لاحظت ان شقتنا مستقلة عن بقية القصر؟

صرخت العجوز مندهشة:

- جينيفرا

اجاب ماكس هاندريك ببرود:

- سامحيني ان دخلت الى شقتك يا آنسة كلايتن، لكنني كنت بحاجة ان اتحدث اليك بشيء طارىء. وبما اننا سنتقاسم هذا المنزل، اغتنمت هذه الفرصة لأتعرف الى عائلتك. وكانت عمتك لطيفة وقدمت لي القهوة. لم اطلب ذلك منها، اذا كان هذا ما تعتقدينه.

احمرّت الفتاة وجلست على كرسي قبالته. كان تيم فضولياً، يريد معرفة ما يجري، فأمرته جينيفر بقسوة ان يذهب الى غرفته. انتظر ماكس ان ينغلق الباب، حتى يقول مبتسماً:

- هل انت دائماً سلطوية معه؟ هل تعرفين انه بعمر النضوج وفي حالة تطور سريع؟

- اعرف ذلك، شكراً. لكنه في الوقت الحاضر، ما زال صبياً. لقد تراكمت عليه الكوابيس كل ليلة، بعد حادث والدي. ولم تزل من احلامه الاّ بعدما انتقلنا الى هنا. وانا اخشى ان يقلق ويضطرب ان اصغى الى حديثنا.

اجاب ماكس هاندريك بعنف:

- انا لست وحشاً. ولا أشعر بلذة في معاكسة الاولاد من عمره، ولا من عمرك انت، ايضاً.

نهض وجرع قهوته وقال:

- جئت الآن لأعرض عليك شيئاً. ستشرح لك عمتك مفصلا. واريد جواباً بأسرع ما يمكن، من فضلك.

بعد اشارة سريعة من رأسه، غادر المكان. بدا على العمة ميري التأسف وقالت:

- يا ابنتي، ماذا حلّ بك؟ لماذا تصرفت الآن بقلة تهذيب؟

تنهدت جينيفر وقالت:

- لم استطع ان املك نفسي. لا احب هذا الرجل على الاطلاق. يبدو بارداً، قاسياً ومتعجرفاً. ولا استطيع التصديق بأنه ابن عم جون.

- اما بالنسبة اليّ، انا مندهشة كيف لم يخبرنا جون بشيء. . . أنا آسفة اذا كان السيد ماكس هاندريك لا يعجبك، اما انا فأراه لطيفاً ورجلاً طيباً.

- انا اكيدة ان شعورنا متبادل، يا عمتي. والعرض؟ حارسة في جزر الشاتلند؟

- لا ابداً. . .

جلست العجوز أمام الطاولة وسكبت لنفسها فنجان قهوة وقالت:

- هل قلت له مساء امس انك ترغبين في القيام ببعض اعمال السكريتاريا، كالضرب على الآلة الكاتبة؟

- صحيح. . .؟

حاولت جينيفر ان تتذكر الحديث الذي جرى بينهما مساء امس، لكنها لم تتذكر انها فتحت هذا الموضوع معه.

- السيد هاندريك بحاجة الى سكرتيرة. وجاء هذا الصباح ليعرض عليك هذه الوظيفة.

ظلت جينيفر من دون حراك، جامدة مكانها، ثم هزت رأسها بلطف وقالت:

- هذا مستحيل. انه لا يريدني ان اعمل هنا، هذا ما قاله لي مساء امس. اعتقدت انه ذهب صباح اليوم باكراً ليبلّغ عني لدى السيدة لانيون وينفذ طردي.

بقيت جينيفر مندهشة بضعة لحظات، ثم تخيّلت نفسها فجأة مرغمة على العمل في غرفة المكتبة، جنباً الى جنب مع ماكس هاندريك. ارتجفت قليلا وسمعت العجوز تقول بصوت سعيد:

- انه حظ يفلق الصخر. فواتير الفصل الأول ستصل عما قريب.

- لا أريد ان اعمل لدى السيد هاندريك. لقد سبق وقلت لك، عمتي ميري، هذا الرجل لا يعجبني. واذا قبلت عرضه هذا، فسأضطر الى تحمله كل يوم!

ولما رأت عمتها تعض على شفتيها، من دون رضى وموافقة، سألتها:

- هل تجلينني نافهة، حمقاء؟

- لا افهمك، يا جينيفر. انت تبحثين عن عمل، وما يعرضه عليك السيد هاندريك يطابق متطلباتك ومقدرتك. هل تعتقدين بأن رب عمل آخر سيناسب ذوقك اكثر؟

- كلا. لكن من الأفضل لماكس هاندريك وانا ان نبقى مبتعدين.

- بعد تصرفك هذا الصباح، لا شك انه يتقاسم شعورك. وكان لطيفاً لأنه لم يسحب عرضه.

«لطيف!» تذكرت جينيفر برود عينيه وملامح وجهه القاسية، وتلميحاته وشتائمه عندما وجدها في غرفته. انه يقوم بهذا العرض بداعي الشفقة، بداعي الاضطرار، متأملا من دون شك ان تعلن رفضها.

نهضت جينيفر بعزم وقالت:

- سأذهب لرؤيته، في الحال.

كانت ترتجف قليلا وهي تطرق الباب. صوت قاسي امرها بالدخول. كان ماكس هاندريك جالساً وراء مكتب ممتلىء بالاوراق والمستندات. امامه مستند ضخم يراجعه. والآلة الكاتبة موجودة الآن على طاولة صغيرة قرب النافذة. يريدها اذن ان تعمل في الغرفة نفسها معه وهذا سبب اضافي كي ترفض... قال لها وهو يسند ظهره على الكرسي:

- اذن، جينيفر، ترفضين؟

- وكيف عرفت؟

- من السهل ان يعرف المرء ما يدور في افكارك. لكنني كنت اعتقد بأنك تتحلين بمنطق واقعي وستقبلين هذه الوظيفة.

- لا افهم جيداً ما دخل الواقع هنا.

- لا؟ لم تخف عمتك قلقها امام المهمات الموكلة اليك والتي تتحملينها بطيبة خاطر. ويمكنك ان تجعليها مطمئنة.

- بالعمل عندك، طبعاً.

قال بلطف:

- ولم لا؟ اشتريت الجريدة المحلية صباح اليوم، ووجدت عشرات الاعلانات من اشخاص يبحثون عن عمل في مجال السكريتاريا، والضرب على الآلة الكاتبة بصورة خاصة. بينما الاعلانات التي تطلب سكرتيرات ضئيلة جداً. حتى في هذا المكان المعزول، لديك من ينافسك.

رفعت ذقنها فخراً وقالت:

- لا تخف عليّ ، سأتدبر امري.

- كيف؟ معاشك كحارسة بالكاد يكفي ثمن الاكل والملابس.

نهض من مكانه واقترب منها وقال:

- لا تكوني حمقاء يا جينيفر. انت بحاجة لوظيفة اضافية. لا تريدين العمل لدي؟ حسناً. افهمك. فأنت لا تبدين في كل حال الموظفة المثالية. لكنك هنا، تعملين في القصر.

- تتكلم كأنه لم يعد لدي ايّ خيار آخر.

- نعم، لا خيار لك.

سكت لحظة، ثم تابع بلهجة قاسية:

- لا تخافي، انا لست مهتماً الاّ بمواهبك المهنية.

- لم اشك بعكس ذلك ابداً.

- لا؟

ابتسم بسخرية واضاف يقول:

- الظاهر ان ذاكرتك قصيرة، يا عزيزتي. لم يكن هذا ما كنت تقولينه مساء امس.

سكتت جينيفر، فقال لها:

- احب ان تبدأي بعملك الجديد صباح الاثنين. في العاشرة، هل هذا يوافقك؟

كانت ترغب ان ترفض بكل قواها. كان واقفاً قربها الى درجة انه اذا قام بحركة خفيفة سوف يلمسها. ارادت ان ترجع الى الوراء، ان تبتعد عنه، لكن بذلك ستصرّح عن ضعفها والانجذاب الذي يفعله بها.

- لا اعرف اي نوع من العمل تنتظره مني. ماذا عليّ ان اطبع؟ رسائل؟ تحقيقات؟

- كلا، عليك ان تطبعي سيناريوهات وحوارات. انا كاتب مسرحي.

سألته بسذاجة:

- هل انت مشهور؟

ابتسم وقال:

- بما فيه الكفاية. هذا الاهتمام المفاجىء بمهنتي يعني بأنك ستقبلين عرضي؟

- انت على حق. لا خيار آخر لدي. عليّ ان افكر بعمتي ويتيم.

- وربما سيأتي يوم ويصبح بامكانك ان تفكري بنفسك.

فجأة مد يده وامسك بذقنها، فتقلصت، فقال لها بلطف:

- لا تريدينني ان اقترب منك، أليس كذلك؟

- انا موظفة لديك، يا سيدة هاندريك، وهذا لا يعني بانك تعجبني.

قهقه ضاحكاً وقال:

- تحلّي بالشجاعة، يا جينيفر. اذا كنت عاقلة جداً وتعملين جيداً، فسأزيد معاشك. وكذلك ادعو لك جون في عطلة الاسبوع.

لم تتمكن جينيفر من الامتناع عن الاحمرار. لا دفاع لديها امام نظراته الساخرة. فقالت بصوت اصم:

- انا اكرهك!

ثم استدارت وغادرت الغرفة.

www.elromancia.com

٣ ـ عندما عرفت بربارة ان ماكس هاندريك هو مدير شقيقتها وانها سكرتيرته فقدت نصف عقلها وأرسلت لأختها هدية لم تكن هذه الأخيرة تتوقعها ابداً . . .

امضت جينيفر عطلة اسبوع حزينة. فرح العمة ميري وتيم لقبولها العرض الجديد لم يساعد على تغيير مزاجها الكئيب. كانت متوترة حيال التفكير بصباح الاثنين عندما ستلتقي مديرها الجديد، هذا الرجل الذي لا تستطيع هضمه. وازداد اضطرابها عندما اتصلت بها شقيقتها بربارة هاتفياً، واعلمتها بأن المسرحية التي تلعب فيها دوراً ثانوياً لم تلق نجاحاً من قبل النقاد الصحفيين. ولما اخبرتها جينيفر عن عملها الجديد، كانت ردة فعلها غير منتظرة، اذ رددت بصوت غير مصدق:

ـ انت ستكونين سكرتيرة ماكس هاندريك؟ انت تمزحين على ما اظن! كل ما اعرفه انه في كاليفورنيا.

ـ ربما كان يعيش هناك، لكنه الآن يسكن قصر الصنوبر.

ـ يا الهي. انك محظوظة للغاية.

تنهدت جينيفر وقالت:

ـ لا اعتقد. فهو لا يعجبني، وكنت افضل لو بقي في كاليفورنيا.

ـ لا تكوني حمقاء! لا شك انك لا تعرفين من يكون ماكس هاندريك؟

ـ اخبرني بأنه يكتب مسرحيات. وأظن انني سمعت بأسمه من قبل.

ـ آه! يا الهي! انت حقاً حمقاء! نعم بالفعل يكتب المسرحيات. لكن، الم يخبرك عن نجاحه الكبير في لندن، وعن الجوائز التي حازها في اميركا؟

ـ كلا.

ـ طبعاً كان يعتقد انك تعرفين ذلك. ربما انت اول انسانة في العالم لم تسمع بماكس هاندريك. وستصبحين سكرتيرته الخاصة!

سمعت جينيفر ضحكات شقيقتها على الطرف الآخر من الخط، ثم ما قالته:

ـ وأنا المسمرة هنا، على بعد كيلومترات عديدة. . .

ـ لكن انت لا يمكنك ان تعملي لديه، يا بربارة، فأنت لا تعرفين الطبع على الآلة الكاتبة و. . .

ـ من يتكلم عن الطبع. الجميع يعرفون ان لماكس هاندريك كلمته حيال اختيار الممثلين الذي يلعبون في مسرحياته. آه لو باستطاعتي رؤيته والتأثير عليه! سوف يتذكرني في المسرحية المقبلة.

اجابت جينيفر بحزن:

ـ ربما. لكن ليس من السهل التأثير عليه بطريقة ايجابية ولوقت طويل.

ـ يكفي ان يتذكرني بعد الانتهاء من كتابة مسرحيته الجديدة! لكن،

ماذا بك فجأة؟ تبدين منهارة. هل حاولت اغراءه؟ ماكس هاندريك الوسيم لن ينجذب اليك، فباستطاعته ان يحصل على كل النساء اللواتي يريدهن. في كل حال، انه لا يحرم نفسه ابداً.

اجابت جينيفر بلهجة جافة:

- ماكس هاندريك الوسيم لا يهمني ابداً ولا يعجبني اطلاقاً.

- حسناً تفعلين، لأن الحظ ضدك لو كنت تفكرين فيه. ولا شك انه وظفك لديه لهذا السبب بالذات. قريباً سآخذ عطلة صغيرة، فهل لديك غرفة للضيوف؟

- كلا. لكن هناك سرير آخر في غرفتي.

- عليّ ان أكتفي بذلك. لكن الظاهر ان مشروعي في المجيء لزيارتك لم يعجبك؟

- ذلك لأنه... بربارة... ستتذكرين بأنه مديري؟

- وكيف باستطاعتي ان انسى ذلك، يا حبيبتي؟ الى اللقاء.

أقفلت الخط. وفجأة شعرت جينيفر بانهيار حقيقي. مجيء بربارة سيجلب لها مشاكل كانت في غنى عنها.

تأتي السيدة بيتي كل نهار اثنين لتنظف القصر. وكانت تمسح ارض المطبخ عندما جاءت جينيفر للتأكد بأن كل شيء على ما يرام. فقالت الخادمة:

- اذن، وصل المستأجر؟ اظن ان السيدة لانيون ستأتي الى هنا يومياً للاشراف على سير الأعمال والبقاء قرب السيد هاندريك.

نسيت جينيفر كلياً وجود فيفيان لانيون. صحيح ان هذه المرأة غير لطيفة، لكنها تتمتع بجمال باهر، وأناقة غريبة. ولا شك انها من عمر

ماكس هاندريك. وتذكرت في الحال نصيحة كاثي الصادقة.

حضّرت جينيفر القهوة وحملتها الى غرفة المكتب. طرقت الباب وانتظرت. انفتح الباب فجأة وكادت ان تفرغ محتوى القهوة على الأرض. ظهر ماكس هاندريك بقامته الممشوقة وقال من دون مقدمة:

- افهمي ما سأقوله لك. في ساعات العمل، تدخلين الى المكتب من دون أن تطرقي الباب. لا استطيع التركيز على عملي، اذا قوطعت كل دقيقة لأقول «ادخلي». وكذلك تحتسين قهوتك وأنت تعملين، لأننا لن نتوقف ابداً قبل موعد الغداء.

وضعت جينيفر الصينية على المكتب ثم تناولت فنجاناً ووضعته على طاولتها قرب النافذة. وذعرت عندما رأت تلة الأوراق التي تنتظرها.

فسألها ماكس بصوت ملحّ:

- ما بك؟

- آمل ان استطيع قراءة خطك.

- هل سبق وضربت على مثل هذه الآلة الكاتبة؟

- كلا.

وضع ماكس امامه ورقة وراح يشرح لجينيفر ما ينتظر منها: تصميم الصفحات، وعدد النسخات، وهامش جراً. اصغت اليه جينيفر بتقلص. ثم عادت الى طاولتها وجلست امامها، مديرة له ظهرها. وبدأت بالعمل، لكنها كانت ترتكب الأخطاء العديدة. وعلى زاوية طاولتها بردت القهوة ولما اعلن ماكس فجأة استراحة وقت الغداء، شعرت جينيفر بالارهاق وكادت ان تجهش بالبكاء. قطب ماكس حاجبيه عندما رأى قرب جينيفر الأوراق المطبوعة القليلة. ثم قال لها:

- استرخي. ما الذي يشوش عقلك؟

www.elromancia.com

- لست معتادة على هذا النوع من العمل و... ولم اكن اعرف بأنك انسان مشهور. لا شك انك تجدني فتاة حمقاء وتافهة.

- لأنك لم تعرفيني؟ أنا لست فخوراً أو متعجرفاً يا جينيفر. في كل حال، معرفتك بي لم تجعلني لطيفاً بنظرك؟ عندك وجه معبّر وأنا متأسف لأنك لست ممثلة.

- يكفي ممثلة واحدة في العائلة.

- آه نعم، اختك... هل هي التي حدثتك عني؟

احمرّ وجه الفتاة وأجابت بخجل:

- نعم.

ابتسم لها وسألها:

- وهل وبختك لأنك لم تكوني على علم باسمي؟

- وكيف عرفت بذلك؟

اجاب بجفاف:

- انها العادة لدى الممثلات الشابات، من دون شك. كيف هي هذه الشقيقة؟

اجابت جينيفر بحزن:

- جميلة.

- هذه الصفة لا تكفي في ايامنا الحاضرة. هل لديها موهبة؟

هزت جينيفر كتفيها وقالت:

- اظن ذلك. لكنها تعمل كثيراً.

- آه، عظيم!

ظلّ صامتاً لحظة، ثم تابع يقول:

- كيف بامكانك ان تكوني بريئة الى هذا الحد؟

- لم افهم ماذا تقصد بذلك...

نظر لحظة في وجه جينيفر وبعينيها المفتوحتين، وبالاحمرار الذي يلوّن خديها، ثم قال متنهداً:

- لا، لا شك انك لم تفهمي. انسي هذا الأمر، يا جينيفر، وهيا نتناول الغداء.

عادت الى المكتب بعدما احتست صحن شوربا، وأكلت سندويشاً صغيراً. وبدا عملها الآن اكثر سهولة من قبل، واكتشفت من خلال المسرحية ان ماكس يعرف اثارة القارىء أو المشاهد، والكشف عن صفات الأشخاص من خلال الحوار. وفوجئت عندما قال لها:

- يكفي ما قمت به من عمل اليوم.

- اريد ان انهي هذه الصفحة.

- كلا. اتركيها.

ثم رفع حاجبيه وأضاف يقول:

- الّا اذا كنت تريدين القيام بساعات اضافية.

- لا، لم افكر بهذا الأمر.

- اودّ تصديقك. لم تسأليني كم سأدفع لك. الظاهر انك تثقين بي يا جينيفر. وبامكانك ان تعملي بمحبة واخلاص.

رمقته بنظرة خائفة، فابتسم لها بسخرية وقال:

- اعرف انه من المستحيل مقاومتي أو عدم الانجذاب اليّ.

نهضت جينيفر من مكانها واستعدت للدفاع. بلعت ريقها وقالت:

- لقد قلت لي ان علاقاتنا ستكون مهنية بحتة. الا يمكننا تحاشي هذا الحديث الشخصي؟ تلميحاتك لا تفرحني ولا تسليني. في كل حال، لست بعدو مثير لك، يا سيد هاندريك...

www.elromancia.com

جلس على طرف مكتبه ووضع يديه في جيبيه وقال:

- لنتحدث في العمل اذن!

اخبرها عن قيمة الراتب الذي سيدفعه لها اسبوعياً، فصرخت تقول:

- لكن هذا مبلغ كبير. كنت اربح مرّتين اقل في وظيفتي الأخيرة.

- لا تفرحي بسرعة! ربما عليك ان تعملي مرّتين اكثر. يقال بأنني مدير لا يرحم... ولن اتراجع عن هذه الشروط: وعليك ان تقبلي أو ترفضي.

قالت بصوت منخفض:

- انت انسان كريم جداً.

- كلا. سترين كم اتطلب من سكرتيراتي، لكن اطمئني، فكل ما سأتطلبه له علاقة بالعمل فقط.

- تحدني فتاة حمقاء، اليس كذلك؟

- اجدك فقط صبية جداً. لكن في العادة اقيم مع مساعداتي علاقات ممتازة. اعطني الوقت لأعتاد عليك وساحيني اذا عاملتك احياناً كفتاة عادية وليس كراهبة خجول.

وفي الغد، عندما وصلت جينيفر الى غرفة المكتبة، لم يكن ماكس هاندريك هناك. جلست امام الآلة الكاتبة وتناولت الملف الذي يحتوي الأوراق المطبوعة، فتحته واطلقت صرخة إستياء. التصليحات الجديدة في كل مقطع، وفي كل الصفحة. عليها ان تعيد طباعتها. وبتنهد، تناولت ورقاً أبيض وبدأت العمل.

انتفضت لدى سماعها صوت الباب الذي انغلق بقوة. ثم سمعت خطوات ماكس في الممر. دخل وحياها من دون ابتسامة وجلس امام

مكتبه. اجابت جينيفر على تحيته بلطف وعادت تتابع عملها.

بعد لحظات، سألها:

- هل تعيدين طبع الأوراق المصححة؟

- نعم. هل ستفعل الشيء نفسه لكل مشهد؟

- نعم، اذا اضطرني الأمر. هل لديك اي اعتراض؟

- طبعاً، لا. انت تدفع لي كي اطبع على الآلة الكاتبة، وليس لأعترض على ما تفعله. لكن العمل لن يتقدم الا ببطء.

- هذا لا يهم، آنسة كلايتن. عليّ تقديم هذه المسرحية منتهية في تاريخ محدد. وربما سنضطر الى العمل عليها سهرات بكاملها. هل انت مستعدة لذلك؟

حدق بها بتحدّ، فأجابته باطمئنان:

- نعم، يا سيد هاندريك، انا قادرة على ذلك.

- حسناً. وساكون سعيداً لو تناديني ماكس ببساطة.

- وهل كنت تطلب ذلك من جميع سكرتيراتك؟

- وكنّ يفعلن ما اطلبه من دون اي مناقشة. الظاهر ان الأمر مختلف معك.

- الا يمكنك ان تعطيني بعض الوقت لأعتاد على ذلك؟

- لن اعطيك شيئاً. لا تنسي انني ادفع لك معاشاً.

- المعذرة، لقد نسيت.

وانصرفت جينيفر الى عملها بتشنج الى ان وجدت نفسها في نهاية الصباح، تشعر بألم حاد في الكتفين. توجهت نحو الباب لتأخذ استراحة الغداء، عندما قال لها ماكس فجأة:

- لدي خدمة سأطلبها منك.

www.elromancia.com

- ستطلب مني عملاً اضافياً؟

- شيء شبيه بذلك. سأطلب منك تحضير العشاء لنهار الجمعة مساء. اذا قبلت ذلك، سأدفع لك اجرة اضافية، بالطبع.

- لكنني غير قادرة ان احضّر عشاء ضخماً بروتوكولياً.

- لا اريد عشاء معقداً. روستو البقر مثلاً وبعض الخضار... هل بامكانك ان تتكفلي بذلك؟

- وما هو عدد المدعوين؟

- انتظر مدعوة واحدة، وهي السيدة لانيون.

اجابت جينيفر بلهجة باردة:

- اذن، ليس باستطاعتي الرفض، اليس كذلك؟

- بلى، باستطاعتك. لكنني لا اتمنى ان يحدث ذلك. ارجوك، جينيفر، افعلي هذا من اجلي!

قبلت جينيفر هذا العمل الاضافي على مضض.

اشرف الاسبوع على نهايته، ولم يسبق لجينيفر ان احست بتعب قوي كالآن. كانت تنهض باكراً جداً كل صباح. تهتم اولاً بالتنظيف في الجناح الأساسي. تعود بعدها الى شقتها لتغيّر ملابسها وتتناول فطور الصباح. ثم في العاشرة تتوجه الى المكتب. وكلّ صباح تجد قرب الآلة تلة أوراق مصححة. في البداية كانت تحنق، لكن، شيئاً فشيئاً ارتسم امامها الفصل الأول بوضوح. فماكس يعرف تماماً ما يفعله.

لم تكن ابداً تتذمر من معاملته لها. وباتت تتمكن من التركيز على عملها من دون ان تكون حذرة كلياً.

اعطاها ماكس فرصة صباح الجمعة لتتمكن من الذهاب الى السوق وتشتري الأغراض العائدة للعشاء. جلست جينيفر تحضّر لائحة

المشتريات وتحتسي قهوتها في المطبخ. والسيدة بيتي جاءت كالعادة لتنظف المنزل. اعطتها جينيفر بعض الأوامر، كتنظيف الشمعدان الفضي الذي وجدته صدفة في احدى الخزائن. وأضافت على اللائحة الشموع والزهور، اذ هي مصرّة أن تحضّر كل ما يلزم لعشاء رومانسي. وأمام هذه الفكرة، احست بألم حاد يطبق على صدرها ويكاد يخنق صوتها. فكّرت بجون الذي اشتاقت اليه، ولا تعرف متى سيأتي الى هنا.

افاقت الفتاة من احلام اليقظة عندما سمعت الكلب يطرق على الباب بقوة، معلناً قدوم ساعي البريد. هل معه رسالة لها من جون؟ فتحت الباب وقلبها يخفق بقوة. اعطاها ساعي البريد رزمة كبيرة آتية من لندن. وعرفت جينيفر في الحال خط شقيقتها بربارة.

قطّبت حاجبيها وفكت الورقة الملفوفة، متسائلة عن سبب ارسال هذه الربطة. ليس الآن عيد ميلاد جينيفر، ونادراً ما تكتب بربارة رسالة الى اختها. وبعدما نزعت الصندوق وجدت داخله علاّقة صور فيها صورة لبربارة كبيرة الحجم. نظرت جينيفر اليها مندهشة. ليس لهذه الصورة علاقة بصورة العائلة، انها مجرد صورة جذابة يستعملها الممثلون لدعايتهم الخاصة. شعرت جينيفر بالخجل ووضعت الصورة بقوة على الطاولة كأنها ستحرق اصابعها. لو تعرف جيداً لماذا ارسلت بربارة هذه الصورة لأختها لأنه لا شك ستقع تحت نظر ماكس هاندريك في وقت من الأوقات.

رمت جينيفر الأوراق في القمامة وكادت ان ترمي صورة اختها ايضاً، لكنها لم تفعل ذلك خوفاً من غضب شقيقتها ان اكتشفت الأمر. نظرت الى الصورة من جديد. آه كم هي جميلة. جميلة وطموحة وموهوبة... فجأة تذكرت كلمات بربارة عندما قالت لها ان هاندريك يستطيع ان ينال

اي امرأة تعجبه ولا يحرم نفسه ابداً من ذلك. . . هل ارادت، بارسال هذه الصورة، ان تقول له انها مرشحة وراضية؟

اقشعرّ بدن جينيفر. وقررت ان تضع الصورة في غرفتها الخاصة، حيث لا يمكن لماكس ان يراها. وتباً لبربارة.

ذهبت الى السوق وابتاعت الأغراض المدونة، ثم صعدت الى سيارتها بغية العودة الى قصر الصنوبر. في تلك الأثناء سمعت صوتاً يناديها وعرفت جينيفر صوت كاثي في الحال التي قالت بلطف:

ـ مرحبا جينيفر. هل لديك وقت لتناول القهوة معي؟

ـ لا ادري اذا كان هذا سيؤخرني. . . السيدة لانيون ستأتي الى العشاء وأنا لدي عمل كثير.

ـ ألم اقل لك انها لن تتركه بسلام؟

توجهتا نحو المقهى الصغير الواقع على الجهة الثانية من الساحة وطلبتا القهوة. وبعدما جلستا امام طاولة قرب النافذة قالت كاثي:

ـ لم تضيع السيدة لانيون وقتها، اليس كذلك. لا تخافي ان نجح العشاء ام لا فسيكون عقلها مأخوذاً بشيء آخر، انا اكيدة من ذلك. . .

ابتسمت جينيفر بصعوبة، فنظرت اليها كاثي بعينين فاحصتين وقالت متنقدة:

ـ تبدين متعبة حتى الارهاق. وكذلك نحل جسمك. هل العمل المطلوب منك صعب؟

ـ كلا. كل شيء عادي ومتوقع. فأنا اعمل ايضاً سكرتيرة للسيد هاندريك.

قدمت لها كاثي سيكارة وسألتها:

ـ آه، صحيح؟ والسيدة لانيون، هل هي على علم بذلك؟

ـ ربما فالسيد هاندريك يتعطى الخيل كل صباح باتجاه منزلها. ولا شك انه اخبرها.

ـ اذن هي على علم بالأمر. لكن تذكري نصيحتي: لا تصطادي في مياه السيدة لانيون اذا اردت المحافظة على وظيفتك. على فكرة. . .

قاطعتها الخادمة حاملة صينية القهوة وبعض الحلوى. لكن بعد قليل قالت كاثي:

ـ اليس كلبك هذا البني اللون الضخم الجثة؟

ـ بلى. انه كلب اخي الصغير. لماذا؟

ـ هل تدعينه يخرج في النهار؟

ـ كلا.

لكنها تذكرت ان العمة ميري اخبرتها عن اختفاء الكلب مرّة او مرتين. لكنه يعود بعد ساعات، ملطخاً بالوحل. قالت كاثي:

ـ انه معتاد على العيش في المدينة، اليس كذلك؟

ـ نعم. ولا شك ان الريف بالنسبة اليه جنة حقيقية.

ـ من دون شك. لكن هذه الجنة تصبح احياناً خطرة. يجب مراقبته عن كثب. لئلا يصاب بضربة خطيرة. باستطاعته هو ايضاً ان يسبب مشاكل لغيره من الحيوانات. لقد سمعت ان آل هاندرسون يتذمرون من كلب دخل الى قفص الدجاج، فخافت الفراخ وهرعت خارجاً. لم يقتل اي منها، لكن السيدة هاندرسون لم تكن مسرورة من ذلك. ولحسن الحظ انها اشتكت لي، لكن لو اخبرت السيدة لانيون بما حدث، لسمعت منها استياء وتوبيخاً.

ـ آه! يا الهي! لكن كلبي لم يؤذ ذبابة، حتى الآن.

ـ ألطف حيوان باستطاعته ان يصبح شيطاناً اذا لاقى اي تهديد من

أي كان. لو انا مكانك، اربطه في سلسلة ولا ادعه يخرج من دون صحبة احد.

تكدست الهموم في رأس جينيفر، واذا لم ينجح العشاء الليلة، سيكتمل نهارها... اعتذرت من صديقتها وعادت الى قصر الصنوبر.

وما ان وطأت عتبة المطبخ التابع لشقتها، حتى رأت ماكس هاندريك. كان يحتسي القهوة برفقة العمة ميري. وضعت جينيفر الأغراض على الطاولة، والتفتت اليه وقالت:

ـ هل انت بحاجة اليّ؟

اجاب بلطف:

ـ كلا، يا جينيفر. كنت بحاجة لرفقة نسائية. وعمتك دعتني بفرح.

لم تجد جينيفر أي رد وقح، واكتفت بالنظر اليه ببرود وبدأت بتوضيب مشترياتها، فقالت العمة ميري بصوت سعيد:

ـ كان السيد هاندريك يحدثني عن منزله في كاليفورنيا. انه بيت معزول، يقع على الشاطىء. هل تتخيلينه؟ المحيط الهادىء على عتبة دارك. اليس هذا رائعاً؟

صمتت جينيفر، فقال ماكس هاندريك معلقاً على صمتها:

ـ اعتقد ان قريبتك تجد ذلك كثير الرطوبة. لكن المناخ هناك خاص جداً. ومن وقت الى آخر، في المساء، اشعل موقد نار على الشاطىء...

قالت جينيفر من دون ان تنظر اليه:

ـ اتساءل باندهاش ما الذي اعادك الى انكلترا الباردة والضبابية.

ـ وهناك ايضاً يوجد ضباب. لكنني عدت الى هنا، لأنني اشتقت الى بلادي. كنت بحاجة الى التركيز لكتابة مسرحية جديدة، وأجد ان العمل في انكلترا سهل عليّ جداً.

ران الصمت قليلاً، لكن ماكس هاندريك تابع يقول:

ـ لقد اجّرت الآن منزلي في كاليفورنيا ولن اعود الى هناك الاّ بعد وقت طويل. هل حطمت آمالك يا جينيفر؟

رفعت رأسها نحوه ورأت ملامح السخرية تلمع في عينيه. وبعد لحظات غادر ماكس المكان، فالتفتت الفتاة الى عمتها وقالت:

ـ عمتي ميري، لا اريدك ان تشجعي هذا الرجل على المجيء الى هنا غالباً.

ـ يا ابنتي! هل انا بحاجة الى ان اذكرك ان هذا الرجل الذي تقصدينه، هو مديرك؟

ـ اعرف ذلك. لكنني لا استطيع رؤيته ليل نهار. لا استطيع ان اخطو خطوة واحدة والاّ وأراه في دربي.

ـ فقدت هدوءك وعفويتك، يا ابنتي. لا شك انك مرهقة. وان السيد هاندريك لن يمانع بمنحك اجازة نصف نهار لترتاحي، اذا ما طلبت منه ذلك.

ـ كلا. لا اريد ان اطلب منه اي خدمة ولا اريد ان ادعه يلاحظ بأنني افقد شجاعتي تجاه اي صعوبة طارئة.

ـ انه ينظر اليك نظرة مختلفة تماماً. لقد قال لي انه مسرور من الخدمات التي تؤدينها له. لكنه يجدك شاحبة في هذه الأيام الأخيرة. ويعتقد انه اعطاك عملاً كثيراً.

ـ طبعاً! يريد ان يجد حجة للتخلص مني، لأنني لست سكرتيرة جيدة.

احتجت العمة ميري وقالت:

ـ لكنك تطبعين على الآلة الكاتبة بشكل جيد!

ـ انه يتطلب من سكرتيراته صفات اخرى. ولو وجدني حسب ذوقه، لوضع مواهبي في سلة المهملات. لا شك انه نادم لأنه وظفني لديه. وأنا ايضاً، في كل حال، فهو لا يعجبني ابداً.

ـ يا الهي!

وشرعت جينيفر في تقطيع الفطر والبصل بطريقة عنيفة بغية تهدئة اعصابها المتوترة.

ثم استعادت مزاجها الجيد عندما عادت الى المكتب بعد الظهر، لمتابعة عملها. وما ان دخلت حتى فوجئت بوجود ماكس امام طاولته. كان يبدو غاضباً، فقالت له:

ـ هل جئت متأخرة؟

ـ كلا. انت دقيقة في مواعيدك. اذهبي واجلبي معطفاً، سنخرج الآن.

كانت ملامح وجهه مليئة بالتهديد، ولذلك لم تكن تتمتع بالشجاعة لمناقشته. فأسرعت الى غرفتها وجلبت معطفاً وعادت الى المكتب حيث وجدت ماكس يذرع ارض الغرفة بخطوات حادة. لما رآها اعطاها دفتراً وقلماً وقال لها:

ـ خذي هذا معك.

وضعتهما جينيفر في محفظتها وتبعته الى السيارة. وجلست قربه مبتسمة. ثم تذكرت آخر مرّة جلست في المكان نفسه قرب جون. الى اين يا ترى؟ فجأة اوقف ماكس السيارة الى جانب الطريق، فنظرت جينيفر حولها: انها في قلب الريف، في مكان متعرّج، ولا بيت في الأفق.

امرها ماكس قائلاً:

ـ اخرجي.

ترددت جينيفر قليلاً، ثم هبطت من السيارة. كان الطقس في غاية الروعة. الشمس تلمع لأول مرة هذه السنة. والبراعم تكوّنت على الأشجار.

تأبط ماكس ذراعها وأرغمها على المشي. اجتازا حاجزاً مشبكاً وراحا يمشيان صعوداً على التلة. الطريق كان ضيقاً ومليئاً بالحصى وكادت جينيفر ان تسقط أو تتعثر. لكنه كان ممسكاً بها بشدة ولما وصلا الى القمة، اخذت الفتاة نَفَساً عميقاً، ثم سألته:

ـ هل بامكانك ان تقول لي ماذا نفعل هنا؟

ـ نتأمل المنظر... رائع، اليس كذلك؟

ـ طبعاً لم تأت بي الى هنا لتأمل المنظر فقط؟

ـ كلا. الهدف الأساسي لهذا التمرين هو ان يستعيد خداك لونهما. ومن هذه الناحية، كان نجاحاً كاملاً.

ومن دون كلمة، اخرجت جينيفر من محفظتها الدفتر والقلم ومدتهما نحو ماكس الذي قال:

ـ حجة. لو قلت لك بأننا خارجان في نزهة، لرفضت المجيء معي.

ابتسم لدى رؤية تعبير وجهها المندهش وعينيها المشرئبتين غضباً. ثم قال:

ـ ولماذا لا تضربينني؟ ولماذا لا تعودي تلك الفتاة المتحمسة التي كادت ان تقطع رأسي أول مرة رأيتك، عندما رميت الصحن في وجهي؟ لا تكوني سجينة هذا المظهر المهذب الباهت الذي تهيئه لي منذ الحادث الأول. ينقصك، في هاتين العينين شعلة الحب، التي لا امل لي ان اشعلها من جديد.

ـ يا لك من انسان وحشي!

www.elromancia.com

هزّ ماكس كتفيه وقال:

- يحق لك ان تشتميني، يا جينيفر، ما دمت صادقة. الأشخاص الفاترون لا يعجبونني.

- انت وعجرفتك! هل تفهم بأنني لا ارغب في ان تكون معجباً بي؟

- لقد افهمتني ذلك جيداً. لكن، صدقي أو لا تصدقي، لا اريد الاّ تحسين علاقتنا المهنية. هل تعتقدين انني جئت بك الى هنا لأغرائك؟ اطمئني، افضل لملاقي ديكوراً مختلفاً عن هذا المكان الرطب.

اشتعل وجه الفتاة من شدة الاحمرار وقالت:

- لا تهمني، يا سيد هاندريك، كما لا تهمني مغامراتك الوقحة. آه! لماذا لا تتركني بسلام؟

- الا تتمتعين بالسلام هكذا؟ ما عمرك؟ ١٨ سنة؟ وتتحملين مسؤوليات تخيف الأشخاص الذين يكبرونك سناً.

- انا اخترت ذلك بملء ارادتي.

- عظيم. رائع. لكن تلك الفتاة المبتسمة، ماذا حلّ بها، بين المطبخ، والبيت والمكتب؟

- هذا الأمر لا يخصك اطلاقاً. انني انفذ اوامرك وتعليماتك في اوقات العمل. الباقي قضيتي الخاصة. ومجرّد ان نسكن تحت سقف واحد لا يعني بأن لديك حقاً عليّ. والآن. هل بامكاننا العودة، ارجوك. ما زلت بحاجة لتفاصيل عديدة كي انتهي من تحضير العشاء.

لم يبتسم ماكس كعادته، بل نظر اليها بحزن. رفعت جينيفر ذقنها ووضعت يديها في جيبيها، لتخفي ارتجاف اصابعها، فقال لها:

- ليس سهلاً ان يصبح المرء صديقك.

- بلى. عندما اقبل هذه الصداقة.

ندمت جينيفر في الحال على ما قالته. لكنها شعرت بأن وجود ماكس قربها يشوش افكارها ويوتر اعصابها.

وبينما كانت تهبط التلة معه، عرفت، بأن عليها ان تتصرف مع ماكس هاندريك بحذر كي تستطيع استعادة هدوءها.

www.elromancia.com

٤ - لحظة واحدة وينكسر كل شيء. خطوة صغيرة... عناق... وتنفتح ابواب موصدة تدخل منها رياح عاتية كيف لها ان تقاومها، كيف؟

عندما دخلت السيارة الى ساحة القصر، لمحت جينيفر تيم يلعب بالطابة. اقترب الصبي منهما وقال للسيد هاندريك:

- العمة ميري تبحث عنك يا سيد هاندريك. مسكة نظارتيها افلتت وتأمل منك ان تضعها مكانها اذا امكن ذلك.

قال ماكس واعداً:

- سأذهب في الحال لمساعدتها.

القى نظرة سريعة نحو جينيفر كأنه ينتظر منها حركة تحد. فقال له تيم:

- حاولت تصليحها بنفسي، لكنني لم انجح، وخافت العمة ميري ان ازيد في النظارتين خراباً. فطلبت مني ان انادي «هرّتنا»

بحثت في كل مكان، ولم اجد لكما اثرا. اخيراً انتبهت الى اختفاء السيارة وفهمت انكما ذهبتما في نزهة.

قطب ماكس حاجبيه وقال:

- هرة؟

- هكذا ننادي جينيفر في العائلة.

قال ماكس بلهجة باردة:

- آه، كم يليق هذا الاسم بها.

دخل ماكس لتوه الى المنزل بينما ظلت جينيفر في الساحة مع اخيها.

ولما اختفى ماكس عن الانظار، قالت جينيفر لأخيها:

- لماذا قلت له ذلك؟

- لأنه سألني! الا تعجبك هذه التسمية؟ الم تكوني تريدينه ان يعرف بالأمر؟

- كلا. انها تسمية تافهة.

- لكن، لست انا من اخترعها!

بدأ تيم بالارتجاف وقال:

- ابي كان يناديك هكذا، يا جينيفر.

- نعم، هذا صحيح.

وضعت ذراعها حول كتفيه وضمته اليها وقالت مرتبكة:

- ... لقد نسيت. لقد ارهقت نفسي في هذه الأيام الأخيرة. لكن... السيد هاندريك رجل غريب. وقصصنا العائلية لا تهمه.

قال تيم باقتناع:

- بل انه يهتم بنا. وهو يحدثني في غالب الأحيان. ذات يوم سألني

www.elromancia.com

اين كنت اعيش قبل ان آتي الى هنا، وماذا كنت افعل في المدرسة...

صرخت جينيفر بغضب:

- هذا الأمر مزعج للغاية!

وتوجهت بدورها الى المنزل.

كان المطبخ خالياً، لكنها سمعت اصواتاً آتية من الصالون. كان ماكس واقفاً قرب النافذة، يصلح نظارتي العمة ميري. وما ان دخلت جينيفر، يتبعها تيم حتى قال السيد هاندريك:

- سأحتاج الى مفك صغير او مبرد اظافر كي اضع المسكة مكانها.

- لدي مبرد على منضدة الزينة في غرفتي، سأجلبه لك الآن.

احتج تيم وقال:

- كلا. انا سأذهب عنك.

تنهدت العمة ميري في مقعدها وقالت:

- تباً لهاتين النظارتين، اضيّع وقتي كله في البحث عنهما او تصليحهما.

ابتسم لها ماكس بمحبة، وبدا لجينيفر جذاباً بخاصة لأنه تخلى عن سخريته وعجرفته.

هبط تيم السلالم بضجة وقال:

- هذا هو المبرد. لقد وجدت هذا ايضاً، يا جينيفر. انها صورة بربارة، اليس كذلك؟ من اين حصلت عليها؟

كادت جينيفر تطلق صرخة حادة عندما رأت صورة بربارة بين يدي اخيها. لكن فات الأوان لتطلب منه ان يعيدها الى حيث اتى بها. فالعمة ميري قالت مستغربة:

- صورة من عزيزتنا بربارة؟ كم هي لطيفة لترسل لنا صورتها، فنادراً ما نراها.

لم يتغير وجه العمة ميري لدى رؤية الصورة، فقال تيم:

- انها فتاة رائعة الجمال. اليس غريباً ان تكون جينيفر شقيقة بربارة، يا ماكس؟

انحنى ماكس، الواقف قرب مقعد العمة، ليرى الصورة الفوتوغرافية، وجينيفر تنتظر رده كأن رأيه سيكون مهماً. نبض قلبها بسرعة في صدرها، فقال السيد هاندريك غير مبال:

- آه، صحيح، الشبه غير موجود بينهما.

ولما غادر ماكس الغرفة، بدأت جينيفر بتحضير العشاء وهي تتساءل: هل سبق لماكس ان التقى بربارة؟ لقد اكدت لها بربارة انها لا تعرفه، اما ارسلت الصورة لهذا السبب؟ ام كانت تريد ان تذكره بها؟ ربما خشيت بربارة ان تفصح لأختها انها كانت على علاقة عاطفية مع الكاتب المسرحي المشهور.

واثر هذا التفكير، احست جينيفر بالغثيان، وبدا عالم المسرح مليئاً بالأكاذيب والغش. ولم يهدأ رأسها عن التفكير والدوار الا بعدما انتهت من اعداد السفرة. على الطاولة الخشبية البراقة كالمرآة تلمع الصحون والأنية الفضية، ووسطها مزهرية من الكريستال يفوح منها عطر الزهور الربيعية.

رجعت الى الوراء لتتأمل المائدة، فسمعت صوتاً من وراثها يقول:

- هذا شديد الأناقة.

التفتت الفتاة الى الوراء في الحال وقلبها ينبض بسرعة جنونية، وقالت:

- لم أسمعك تدخل. كنت... أوه... كنت أتأكد اذا كان كل شيء على ما يرام.

- يبدو لي كل شيء جيداً.

قطّب ماكس حاجبيه وأضاف يقول:

- أنا آسف لاعطائك كل هذه الأعمال المرهقة. في المرة المقبلة سأنظم الأمور بطريقة مختلفة.

- اذا كان هذا لا يعجبك...

قاطعها ماكس بشدة وقال:

- انا مسرور جداً، يا ايها الوحش الصغير. الم أكن واضحاً بما فيه الكفاية؟ الظاهر، انك لم تفهميني جيداً... انا قلق عليك، صدقت كلامي ام لم تصدقيه.

رفعت جينيفر ذقنها باعتزاز وقالت:

- وما الفائدة، ان كنت قلقاً عليّ ام لا.

لكنها اصبحت مقتنعة الآن انها وجدته جذاباً فجأة. فامامها رجل يرتدي سروالاً غامقاً وقميصاً حريرياً وسترة مخملية. ولم تعرف جينيفر كيف تتصرف. ربما فيفيان لانيون ستكون بالتأكيد اقل ارتباكاً منها في هذا المجال...

- ارجوك، يا جينيفر، استرخي. ما ان اظهر امامك، حتى تشتعلين غضباً. لماذا؟ هل تخافين ان اغازلك؟

- لم يخطر ذلك ببالي. مغامراتك العديدة جعلتك انساناً متعجرفاً وفخوراً ومعتداً بنفسك.

- يا لحدة ذهنك يا جينيفر. لكن هل انت ذكية ايضاً فتعرفين ما يجري في داخلك؟

تقدم خطوة منها، فرجعت جينيفر الى الوراء وارتطمت بالطاولة، اتكأت عليها وتشبثت بكل قواها عندما انحنى ماكس فوقها. اغمضت عينيها واحست بذراعي ماكس حول كتفيها. فجأة ضمها اليه بقوة ولم تعد قادرة ان تتكلم او تسمع شيئاً. عناقه جرح جميل. فجأة سمعت جينيفر صوتاً بعيداً، فابتعد عنها ماكس وفتحت عينيها وسمعته يقول لها بصوت بارد:

- الجرس انقذك فقد وصلت ضيفتي.

تسمرت جينيفر مكانها واجتاحتها قشعريرة باردة. ثم وضعت يدها على فمها المرتجف، فقال لها ماكس في الحال:

- لا تنظري الي هكذا، يا جينيفر. ما حدث ليس سوى عناق عادي. ربما لقنتك درساً لئلا تثيريني بعد الآن.

ابتعد عنها وخرج من الغرفة. رن الجرس من جديد، فأسرعت جينيفر الى المطبخ وصفعت الباب وراءها واتكأت عليه لحظة كي تستعيد انفاسها وتوازنها. كيف سمحت له ان يعانقني؟ كانت تتمنى في هذه اللحظة ان تهرب الى مكان بعيد. لكن، عليها الاهتمام بتحضير العشاء ومقاومة رغبتها في رمي كل ما فعلته حتى الآن بدقة ومحبة. ماذا سيحل بالعمة ميري ويتيم اذا فقدت وظيفتها؟ انغلق الفخ عليها.

ارتعشت ووضعت يديها على وجهها. كانت اكيدة حتى الآن من انها قادرة على النجاح في تأمين استقرار ومعيشة العائلة، لكنها في الوقت الحاضر تشعر بالصبى والخوف والوحدة.

اخرجت من حقيبة يدها مرآة صغيرة ونظرت الى وجهها المشتعل احمراراً وخجلاً. النور في الصالون شحيح ولن تلاحظ فيفيان لانيون تورم وجهها وفمها. بحركة عصبية سرحت شعرها المشعث ووضعت قليلاً من احمر الشفاه. ثم حملت صينية المقبلات وتوجهت الى الصالون. وما ان وصلت حتى باب المطبخ انفتح امامها فجأة، فكادت ان تقع مع ما تحمله. دخل ماكس وسألها بصوت قوي:

- هل انت بحالة جيدة؟

- طبعاً.

- جئت لأعتذر منك.

- هذا كرم غير منتظر من قبلك. لكن لا شيء يرغمك على الاعتذار مني. انا لست طفلة وسأحاول مرة ثانية عدم اثارتك.

- جينيفر، اعرف تماماً بماذا تفكرين و...

- لا افكر بأي شيء اطلاقاً، لماذا تدع ضيفتك تنتظر وحدها؟ بامكانك ان تعلمني متى سأقدم لكما العشاء.

سألها بلهجة ساخرة:

- اين مريولك وقبعتك؟

- سأضعهما في الحال، اذا ما اردت ان تتذكر انني خادمتك، مع العلم بأن هذا الوضع لا يعجبني. والآن هل تدعني امرّ، لدي عمل كثير.

- هيا اذن. لكن يجب علينا ان نناقش وضعك الصحيح بشكل نهائي، وحقوقك داخل هذا المنزل.

- ليس هناك شيء للمناقشة يا سيد هاندريك...

كادت ان تنفجر بالبكاء، لكنها تمالكت نفسها واضافت تقول:

- انا اقبل هذا الوضع، فلماذا لا تقبله انت؟ انا اقوم بالعمل الذي من اجله اقبض معاشي. وبالمقابل اريد حريتي. انه امر بسيط للغاية. هل تعتقد بأن لديك حقوقاً علي لأنني شقيقة بربارة نيكولاس؟ لكن يجب ان تتذكر دائماً بأننا مختلفتان كلياً.

اوما برأسه موافقاً وقال:

- آه، نعم، يجب ان اتذكر ذلك.

بعد هذا الكلام البارد والمقتضب، ادار ظهره وخرج من المطبخ. ارادت ان تلحق به وتقول له انها نادمة على ما قالته، لكن، لا شك انه سيعتقد بأنها غيورة من بربارة. وهذا غير صحيح. كانت تعيسة وحسب... وغير راضية على الطريقة التي تمارسها اختها في اداء عملها.

توجهت جينيفر الى غرفة الطعام ووضعت محتوى الصينية على المائدة، ثم شرعت في اضاءة الشموع. في تلك الاثناء خرجت السيدة لانيون من الصالون، يتبعها ماكس، وقالت:

- يا الهي! لقد نسيت انني وظفت هذه الفتاة لخدمتك يا ماكس. لا تقل لي انك عهدت اليها تحضير عشاء هذا المساء؟ لو اعلمتني بالأمر، لأرسلت لك السيدة مارش.

- انا اكيد بأن جينيفر تدبرت امرها كما يجب. انها فتاة قديرة واشكرك على هذا الاختيار.

وضعت السيدة لانيون يدها على ذراعه وابتسمت له. كانت ترتدي تنورة مخملية خضراء، طويلة وقميصاً من قماش الجيرسي، ضيقة، تظهر حجم صدرها العارم. تمكنت جينيفر من اشتمام رائحة عطرها القوي، عندما اقتربت منها. وبدا واضحاً ان صاحبة

القصر امرأة جميلة لا تخفي انجذابها لماكس هاندريك. لكن من منهما يحاول السيطرة على الآخر؟ من الصعب التكهن بمثل هذه الأمور.

عادت جينيفر الى المطبخ لتقديم بقية العشاء، فاخرجت من الفرن روستو البقر وحملت الطبق الى غرفة السفرة، لكنها احست ان وجودها ازعجهما. فيفيان لانيون كانت ترمقها بنظرات غير واضحة بينما كانت هي تبدل الصحون. ربما كانت تأمل ان يكون العشاء كارثة كبيرة.

وبينما كانت فيفيان وماكس يتناولان العشاء، توجهت جينيفر الى الصالون واشعلت الموقد، واطفأت اضواء السقف، تاركة ضوءاً شحيحاً ينبع من مصباح جانبي. وفي الحال بدت الغرفة حميمة ودافئة. وضعت الوسائد مكانها وحملت طبق الحلوى والفاكهة الى غرفة الطعام. ثم عادت الى المطبخ. لم يعد لديها سوى اعداد القهوة وجلي الصحون ثم العودة الى شقتها. وبينما كانت تستعد لحمل القهوة الى الصالون، دخل ماكس الى المطبخ، فانتفضت لدى سماعها صوته:

- العشاء كان ناجحاً تماماً، يا جينيفر. انا اشكرك كثيراً. اذا كانت القهوة جاهزة، فسآخذها بنفسي. وبامكانك ان تعودي الى شقتك الآن.

- لكن، والجلي...

- انا باستطاعتي ان اجلي. كان نهارك طويلاً. اذن استغنمي هذه الفرصة لترتاحي.

ارادت جينيفر الاحتجاج، لكنها لاحظت فجأة انه يريد التخلص منها. فاحمر وجهها وقالت:

- شكراً. بامكانك ان تترك الجلي لصباح الغد.

- قلت لك بأنني سأنظف الصحون بنفسي. في كل حال، انت حرة في قضاء عطلة الاسبوع كما ترغبين.

ومن دون ان تنطق بكلمة، وضعت جينيفر غلاية القهوة على الصينية مع الفناجين وناولتها له، فقال لها ماكس:

- حسناً. اتفقنا، أليس كذلك؟ لا اريد ان اراك هنا قبل الاثنين.

وبينما كانت جينيفر تحمل حقيبة يدها وتستعد للخروج، وجدت ان ماكس نسي صحن السكر. باب الصالون كان مفتوحاً. وتهيأ لجينيفر انها امام مشهد سينمائي. فيفيان وماكس امام الموقد، متعانقان بحنان.

ظلت جينيفر بضع لحظات مذعورة، ثم اختفت من دون احداث اي ضجة. اعادت صحن السكر الى المطبخ وخرجت الى شقتها. كان قلبها يخفق بسرعة جنونية.

وبحجة التعب اوت الى فراشها باكراً لكنها لم تستطع النوم بانتظار سماع صوت محرك سيارة فيفيان لانيون لتتأكد من مغادرتها القصر. وفي ساعات الصباح الباكرة نهضت جينيفر من فراشها وتوجهت الى النافذة بغية فتحها وتنشق الهواء المنعش. كان الليل مضاء بالنجوم. واقشعرت عندما لفحها الهواء البارد، وفوجئت برؤية سيارة اخرى بجانب سيارة ماكس. اغلقت النافذة والستائر وعادت الى سريرها البارد، وقلبها مليء بالتعاسة والاضطراب.

هل ذهب تيم الى غرفته ليدرس ويكتب فروضه، ام انه يقرأ القصص والصور المتحركة؟ هل الشقيقة والعمة قادرتان على تأمين تربية جيدة لولد في سن المراهقة؟ القابلة الاجتماعية لا شك انها

كانت على حق. فجأة بدت حياة الفتاة حزينة ومنهارة. لكنها ما زالت تتمتع بقدرة وطاقة لمواجهة هذه المشاكل الحياتية اليومية القاسية.

توجهت جينيفر الى عملها صباح الاثنين بوجه حزين وفم متقلص. وفوجئت باكتشاف ماكس في مزاج سيء ايضاً. لمحت وجود حقيبة في الممشى، ولما دخلت الى المكتب كان ماكس يضع اوراقه في حقيبة صغيرة ويتمتم بعض الكلمات غير الواضحة. لما رآها قال:

- انا ذاهب الى لندن لبضعة ايام. بامكانك ان تنهي تصليحات الفصل الأول وتطبعي الصفحات الأول للفصل التالي. هذا سيكفي لملء وقتك.

- آه! هل ستتغيب طويلاً؟ هل تجابه مشاكل معينة؟

هز ماكس كتفيه واجاب:

- طبعاً. والا لما اضطررت للذهاب. آمل ان اسوّي الأمور قبل ان يصبح مستحيلاً حلها. لكنني لا استطيع ان احدد لك تاريخ عودتي. هل من سبب معين لطرحك هذا السؤال؟

- اريد ان اعرف بماذا ارد على من يسأل عنك او يتصل بك هاتفياً.

- كل من سيتصل بي، يعرف اين يجدني. وبالنسبة الى الآخرين، قولي لهم ما تعرفينه. اتفقنا؟

- نعم.

- ما بك؟ تبدين في حالة احباط تام. غيابي عنك لبضعة ايام لا يفرحك؟

- لا اريد ان اعرف الى اين انت ذاهب وماذا ستفعل.

- لكن بلى. انت سكرتيرتي واحبك ان تهتمي بنشاطاتي. ربما، بامكاني ذات يوم ان اصطحبك معي.

- آه! لكنني لن استطيع ذلك!

- ولم لا؟ سكرتيراتي القديمات كن يفعلن ذلك.

- نعم، ربما. لكنهن كن مختلفات.

زم حاجبيه وقال:

- هل تعتقدين ذلك؟ ربما في مرة اخرى بامكاننا مناقشة هذا الأمر. اليوم، للأسف، ليس عندي وقت.

ومن عتبة الباب، رمقها بنظرة ساخرة وقال:

- في كل حال، ربما لست مختلفة جداً كما تتصورين.

انغلق الباب امامها، فحدقت جينيفر به ووجهها يشتعل احراراً. لقد فهمت قصده. آه! لماذا سمحت له ان يعانقها؟ لماذا لم تصفعه؟ لم تستطع التركيز على عملها، وعقلها يتذكر ذلك المشهد! وبعد اقل من ساعة، وضعت آلة الطباعة جانباً وتوجهت الى المطبخ لتعد فنجان قهوة لها وللسيدة بيتي التي تقوم بتنظيف المنزل. وفي عودتها الى الممشى، انفتح الباب الأمامي فجأة ودخلت فيفيان لانيون ويداها محملتان بالزهور الرائعة.

في الحال قالت السيدة لانيون بصوت غير محبب:

- ماذا تفعلين هنا؟

- اعمل.

- الم تفرغي بعد؟ ليس من الضروري ان تبقي هنا في الوقت نفسه مع السيدة بيتي. يكفي ان تلقي نظرة سريعة عندما تنتهي الخادمة من التنظيف.

www.elromancia.com

اشارت جينيفر الى مكتب ماكس وقالت:

- اتكلم عن عملي كسكرتيرة.

- ماذا تقولين؟ ومنذ متى اصبحت سكرتيرة ماكس هاندريك؟

- منذ وصوله.

- آه! يبدو انك تتمتعين بمواهب عديدة. عشاء الجمعة كان رائعاً. والآن، تخبرينني بانك تطبعين على الآلة الكاتبة. لم تقولي ذلك خلال لقائنا الأول، لكان في استطاعتي ان اوظفك في مكتبي. ما دمت قد امّنت لك المنزل، كان بامكانك ان تقدمي لي الأولوية.

اعتذرت جينيفر قائلة:

- لم اكن انوي العمل كسكرتيرة. وبالصدفة علم السيد هاندريك انني اجيد الطبع. لم اكن اتوقع ابداً ان اعمل سكرتيرة لديه.

ابتسمت فيفيان لانيون وقالت بسخرية:

- انت فتاة عاقلة! في كل حال حظك كبير للعمل في هذا القصر. لكن لا يجب ان تتباهي كثيراً بذلك. احذري.

ناولتها الزهور وقالت:

- ضعي هذه الزهور في المزهريات. هذا المنزل بحاجة للانتعاش.

كانت يدا جينيفر ترتجفان عندما دخلت الى المطبخ. وبالرغم من الجهود المبذولة لم تستطع ايجاد مزهريات تناسب ذوق السيدة لانيون. قالت هذه الأخيرة بغضب وتوتر:

- الظاهر انك خالية من الذوق والأفكار الجمالية. ربما سأجد مزهريات مناسبة في منزلي. لحسن الحظ ان عملك هذا ليس سوى حل مؤقت. ولو كنت تعملين عند رب عمل قاس ومتطلب لما بقيت

في وظيفتك اكثر من خمس دقائق.

هل تنوه فيفيان باليوم الذي ستسكن فيه هذا القصر، مع ماكس هاندريك كزوج لها؟ لا شك ان فيفيان لانيون ستبحث عن حجة للتخلص منها، لأنها شابة وتقضي معظم اوقاتها مع السيد هاندريك. وهذا يعني انها غير متأكدة منه ومن نفسها؟

تجمّد قلبها مكانه وراحت تتساءل: ماذا سيحل بالعائلة عندما تطرد من عملها؟ الى اين سيذهبون جميعاً؟ ماكس هو المسؤول الوحيد عن هذه العملية: لو كان اقل جاذبية، لكان الوضع اقل تعقيداً.

بدت لها الرغبة فجأة كشيء جدي وعميق. لكنها لم تكن تجرؤ على الافصاح عن الشعور بها. هل قلة التجربة هي التي جعلتني حساسة تجاه عناق ماكس؟ فجأة صرخت بصوت مرتفع:

- يا الهي ماذا حدث لي؟ اريد ان انسى هذا العناق. انا بحاجة لكل قدراتي كي اواجه الوضع.

ابعدت عنها الفنجان البارد وقررت العودة الى المكتب والبدء بالعمل، كي تبعد الهواجس عن عقلها.

نظرت الى باقة الازهار الزاهية وقالت بتحد:

- انا ايضاً، سأتغلب على الموت وانتصر!

- خرجت من المطبخ وصفعت الباب وراءها بقوة.

www.elromancia.com

٥ـ لكثرة وجود المشاكل حولها لم تنتبه حتى لقراءة اسمها على الرزم المرسلة الى القصر، ولما عاد ماكس وجدت انها لم تكمل عملها على اكمل وجه كما تخيلت.

مرّ أسبوع بكامله على غياب ماكس. الازهار التي جلبتها فيفيان لانيون اوشكت ان تذبل، وصاحبة القصر تستمر في المجيء يومياً، والاتصال هاتفياً، مما جعل جينيفر في وضع متأزم وشديد التوتر.

قالت الخادمة بيتي لجينيفر، ذات يوم:

ـ اذا لم تكن السيدة راضية، فستبحث عن شخص بديل.

أنهت جينيفر الاعمال التي اوكلها بها ماكس لكنها لم تستطع الاستمتاع بوقتها الحرّ لشدة ما كانت قلقة على مصيرها. كانت احياناً تقاوم رغبتها في استكشاف الريف المجاور وتلاله وحقوله ومراعيه. لكن، ما دامت ستبقى هنا مدة محدودة، وربما قصيرة جداً، فما جدوى التعلق بهذه الأماكن الجميلة؟

كم احبت جينيفر ان تكشف عن قلبها لعمتها ميري، لكن العجوز مريضة الآن وزكامها عنيف، ولهذا السبب لم تكن تريد ان تزيد في همومها همّاً آخر. تيم ما زال صغير السن لتحمل مسؤوليات العائلة. هكذا وجدت جينيفر نفسها وحيدة، لا تعرف احداً بامكانها التحدث اليه بصراحة وحرية. كانت تمضي اوقاتها في جرجرة خطواتها المضطربة وتأمل علو السقوف وضخامة الجدران ووقار الاثاث. لا شك انها تحب المنازل القديمة التي تذكرها بطفولتها...

كانت احياناً تختار كتاباً من رفوف المكتب وتبدأ في قراءته بشغف لشدة حبها للمطالعة، ثم لا تلبث ان تضعه جانباً، لعدم تمكنها من متابعة التركيز مدة طويلة. احياناً، وبينما تقوم بنزهات عابرة حول القصر، تتخيل نفسها صاحبته وتقوم باختيار السجاد الجديد والستائر الجديدة. كما كانت تتخيل الاولاد- اولادها- يلعبون في ممرات الطابق الأول في لعبة «الغمّيضة». نعم، هذا المكان بحاجة الى ضوضاء وضحكات الاولاد ليستعيد شبابه وعظمته. لكن في حلمها الواعي هذا، كانت صورة صاحبة المكان غامضة للغاية. طبعاً كانت تحاول ان تراها بملامح جون، لكن هذا الأخير لا يبدو مناسباً لهذا المكان، اطلاقاً.

في كل حال، قصر الصنوبر ملكية آل لانيون منذ دهور عديدة. وفيفيان لانيون لن تقبل بالتخلي عنه. تذكرت جينيفر كيف جذبت هذه الارملة الكاتب المسرحي بحبالها للوصول الى اهدافها...

احست جينيفر بارتعاشة تخترقها، فأزاحت هذه الصورة عن مخيلتها. لكنها لم تستطع ان تنسى عناق ماكس لها، بضع دقائق قبل وصول عشيقته. لن تسامحه ابداً على ذلك، خاصة ان فيفيان لانيون

لا شك انها لاحظت اضطرابها وخوفها. الآن اصبحت ايامها في هذه الجنة معدودة. ربما اخبر ماكس صاحبة المكان عما حدث، وربما ضحكت هذه الأخيرة بقوة، بغية كبت غيرتها وافكارها الشيطانية.

اومأت جينيفر برأسها. فمخيلتها تهذي. عانقها ماكس لأنها اثارته، ولم يحدّث احداً عن ذلك بكل تأكيد. لماذا تعطي أهمية كبرى لحادث سخيف، عابر؟ لأنها تشعر بالوحدة والرتابة...

فجأة، سمعت جينيفر صوت محرك سيارة في ساحة القصر، فتقدمت من النافذة والقت نظرة حولها. لكن السيارة الواقفة امام الباب لم تكن سيارة ماكس. اسرع الكلب الى باب المدخل وهو ينبح بقوة. تبعته جينيفر بعدما لمحت من النافذة جون هاندريك.

انتفض قلبها فرحاً لرؤية جون الذي قال لها في الحال:

- صباح الخير يا جينيفر، هل اشتقت اليّ؟

- آه، لم تعلمني بوصولك، لذلك لم احضّر لك الغرفة.

رفع جون كتفيه وقال:

- قررت المجيء في اللحظة الأخيرة. في كل حال، حجزت غرفة في فندق «الحصان الابيض» في هارتفورد.

- في الفندق؟ لكن لماذا؟

- بأمر من ابن عمي ماكس. افهمني بصراحة انه لا يريد اي ضيف في الوقت الحاضر. في الواقع، انه لا يحبّذ وجودي هنا، ولذلك منعني من المكوث في القصر.

- ولماذا فعل ذلك؟

- ماكس انسان محيّر ومليء بالالغاز. كان لطيفاً جداً معي خلال أيام الطفولة. لكن في هذه الأيام الأخيرة تدهورت علاقتنا... هل

بامكاني الدخول لاحتساء فنجان قهوة؟ القهوة في الفندق رديئة.

- طبعاً. لم... لم اكن انوي ان اتركك امام الباب. ادخل، ارجوك.

تقدمها وهو يفرقع باصابعه لمناداة الكلب، ثم قال:

- فرح كبير ان اراك من جديد، يا جينيفر. كيف حال تيم والعمة ميري؟

اجابت الفتاة بصوت خجول:

- نحن جميعاً بخير والحمد لله.

تبعها جون الى المطبخ وراح يتأملها وهي تعدّ القهوة وقال:

- وجهك نضر وبرّاق. هل هذا مناخ الجبل ام العمل لدى ماكس؟

- طبعاً لا.

قهقه جون وبدأ يتأمل الفتاة بامعان، ثم قال:

- لا تقولي بأن ماكس وجد امرأة تقاوم سحره وجاذبيته. من الصعب ان اصدق ذلك.

- انا اعمل لديه، وعلاقتنا مهنية، فقط لا غير.

ثم أضافت بتردد:

- هل تعرف بأنني اصبحت سكرتيرته الخاصة؟

- اخبرني بذلك. ربما تعلّم ماكس درساً من خبرته الماضية. عادة سكرتيراته يولعن بحبه بسرعة.

- هذا الامر لا ينطبق عليّ.

ثم اضافت بلطف قاتلة:

- جون، لماذا تركتني اعتقد بأنك انت مستأجر قصر الصنوبر؟

www.elromancia.com

- بلا سبب مقنع. لكنني كنت اشعر بفرح وغبطة ان ألعب دور صاحب هذا القصر، لمدة أيام معدودة. جينيفر، عائلة هاندريك مقسومة الى جزئين: الفقراء والاغنياء. أنا انتمي الى القسم الأول وماكس الى القسم الثاني. اضافة الى المال الذي يربحه ماكس من مسرحياته ورث عن والده ثروة ضخمة. ولما حالفني الحظ ان آخذ مكان ابن عمي لبضعة أيام، اغتنمت هذه الفرصة. وهذا كل ما في الأمر!

ابتسم جون بحزن، ثم أضاف يقول:

- لكن هذا لم يعجب جلالته، ولهذا السبب منعني من المكوث هنا.

ثم اخرج من جيبه ظرفاً وقال:

- على فكرة، هذا الظرف لك.

كان الظرف يحتوي على رسالة من ماكس الى جينيفر. فتحتها ووجدت شيكاً مصرفياً وكلمة صغيرة. فتحت الرسالة بيد مرتجفة: هل سيطلب منها ان تغادر المكان بعد طردها من العمل؟ لكن الرسالة كانت مقتضبة وواضحة، يقول فيها ان أعماله كثيرة الآن ولا يعرف متى سيعود الى القصر. والشيك المرفق يحتوي على مبلغ محترم من المال: معاشها واجرة اهتمامها بتحضير العشاء له وللسيدة لانيون. كما دوّن لها رقم هاتفه في حال اضطرت للاتصال به.

لمح جون الاندهاش في عيني الفتاة، فسألها:

- ماذا هناك؟

قدمت له الشيك وقالت:

- لا شيء. فقط هذا.

- أليس الشيك صالحاً؟ ماكس ارّخه ووقعه. وكل شيء يبدو منتظماً.

- لكن قيمته تفوق معاشي المتفق عليه.

رمقها جون بنظرة استغراب وقال:

- ولم لا؟ ماكس قادر على دفع مبلغ اكبر من هذا، أنا أكيد. خذي هذا الشيك وكوني شاكرة.

- لكنني لم اربحه!

اجابها جون بلهجة جافة:

- ستربحينه فيما بعد. الماء تغلي، اذا لم تنتبهي لذلك.

- العفو؟ آه!

اطفأت جينيفر النار وسكبت الماء الغالية فوق القهوة، ثم سألته:

- ماذا تقصد بكلامك الأخير؟

- آه! لا شيء، انسي ما سمعته.

- طبعاً لا. هل... هل تعتقد ان ماكس يحاول ان يشتريني؟

- ربما، لكن بطريقة غير علنية. لا بدّ انه يشعر بعدائيتك تجاهه ويحاول تلطيف الجوّ بينكما. عادة يقدم هدية في آخر العلاقة وليس قبل.

ابتسم لها واضاف يقول:

- كنت أفكر بأنك تذكّرينه كثيراً بلورا، لذا لا يرغب في التعلّق بك هذه المرّة.

- لورا؟

- الفتاة التي كانت تعمل لديه في كاليفورنيا، العام الماضي. انها شقراء وخارقة الجمال وصبية مثلك. عندما اخبرها بأن العلاقة بينهما

انتهت، اخذت حبوب منوم بكمية كبيرة.

- يا الهي، ما هذا الخبر الرهيب! وماذا حصل لها؟

بدأت جينيفر ترتجف في كل انحاء جسمها، اجابها جون قائلا:

- وجدها ماكس في الوقت المناسب، وتمكن الاطباء من انقاذها.

- يا للحظ!

- ليس حظاً بمعنى الكلمة، اذ كانت لورا نائمة في فراشه، ومن الصعب عدم الانتباه لما يحصل لها.

ذعرت جينيفر لهذا الاعتراف. وكي تخفي اضطرابها، سكبت القهوة في الفناجين. فشعرت بالارتياح قليلا بعد جرعها القهوة مع انها لم تحب طعمها كالعادة. جون ما زال يتحدث عن الموضوع نفسه وجينيفر تجد صعوبة في التركيز على الحديث، لأن عقلها كان غائباً، في مكان آخر.

بعد قليل قال جون:

- ارى بفرح انك محصنة تماماً ضدّ ماكس. عندما منعني من المجيء الى قصره، اعتقدت بأنك اصبحت ملكيته الخاصة، ولا يريدني ان اتدخل بشؤونك.

- لا، ابداً.

كانت جينيفر تحاول عدم التفكير بالعناق وبالاحاسيس التي ايقظها فيها، فلاحظ جون قلقها، فابتسم لها وقال:

- جينيفر، لا تنظري اليّ هكذا. لا احد اخذ حبوباً منومة بسببي.

قالت محاولة الابتسام:

- كلا، طبعاً.

سحر جون بدأ يخفف من روعها ويؤاسيها.

- آه! جون! أنا سعيدة لرؤيتك. بدأت اعتقد أنني لن اراك ابداً.

- لو القضية متعلقة كلياً بماكس، لما عدت ابداً الى هنا. والآن، لنذهب ونحيّي العمة ميري، أليس كذلك؟

كانت جينيفر تمشي أمامه. لم يرفض جون استقبالها الحارّ، لكنه لم يعبّر عن رغبة في البقاء معها وحدها، ولم يقل لها انه كان سعيداً لرؤيتها. بدأت تندم لأظهارها فرحاً كبيراً بوصوله.

حيّته العمة ميري بلطف، لكن بقليل من الحذر. سألته عن صحته وعن عمله، فبدا جون منزعجاً. وتساءلت جينيفر اذا كانت العمة ستدعه للبقاء في شقتهم. لكنها لم تفعل، ولم ترد جينيفر ان تكون البادئة في الاقتراح. ماذا ستكون ردة فعل ماكس اذا وجد ابن عمه في القصر؟ فهي تخاف اثارته من جديد.

قالت العمة ميري:

- هل انت في عطلة، يا جون؟ لم نتعود رؤيتك في وسط الاسبوع.

ابتسم بحزن واجاب قائلا:

- لست في عطلة، تماماً يا سيدة كلايتن. انما «ارتاح» كما يقولون في الوسط المسرحي. في الحقيقة، انا من دون عمل.

سألته جينيفر مندهشة:

- هل انت ممثل؟

- كلا، انا مصمم ديكور. الم تكوني على علم بذلك؟

- كلا. لم يسبق ان حدثتني عن عملك.

- ربما لأنه لم يكن هناك شيء للقول. في الوقت الحاضر، اربح ما يكفي لاعالة نفسي وحسب.

www.elromancia.com

نظرت اليه العمة ميري بارتياب وقالت:

ـ لكن، بامكان ابن عمك ان يساعدك...

ـ رفضت مساعدته. اريد ان اشقّ طريقي من دون حماية ماكس. حتى انني لم اعد استعمل اسم عائلتي خلال القيام بنشاطاتي المهنية، لكنني استعمل اسم عائلة والدتي. والجميع يعرفوني بأسم جون كريستي. هكذا لن يقول احد بأن نجاحي عائد لماكس. وهذا الوضع لم يعجبه لأنه يحب ان يأخذ الجميع تحت رعايته.

قالت جينيفر بصوت منخفض:

ـ انت محظوظ. كنت افضل الاّ اكون محتاجة للعمل لديه.

نظرت الى عمتها ولمحت الاستياء في وجهها، فأضافت تقول بتجد:

ـ أنا أكرهه. نعم، اكرهه!

وفي الأيام التالية، بدأت جينيفر تتأمل خيراً. فغياب ماكس عن القصر ووجود جون في الجوار حقيقتان مفرحتان بالنسبة اليها. عادت العلاقات الى ما كانت عليه في الأيام الأولى. لكن، بالرغم من كل ذلك، لم تكن الفتاة سعيدة كلياً، لأنها لم تكن تعرف شيئاً عن شعور جون الذي لم يحاول مرّة ان يراها وحدها.

ذات يوم، وبينما كانت ترى وجهها في المرآة، اخذت تقارن نفسها ببربارة وتأكدت انها لن تبدو ابداً تلك الفتاة المثيرة، الجذابة، كما هي حال شقيقتها. اخذت تضحك وهي تسرّح شعرها الاشقر الطويل الذي انسدل شلالا حول وجهها. لا شك ان جون التقى بالعديد من الممثلات الجميلات وانه فضّل عليهن ببساطة جينيفر وعفويتها.

وهي في كل حال، كانت تنتظر زياراته بفارغ صبر. والبريد المرسل الى ماكس يتكدّس يومياً فوق مكتبه، وجينيفر ترد بلا مبالاة على اسئلة السيدة لانيون الحرجة حول موعد عودة الكاتب المسرحي.

ذات صباح، بينما كانت جينيفر في المطبخ تنتظر وصول جون، رنّ الهاتف. تناولت السماعة بخوف غريب. هل سيعلن لها جون عن رحيله، ام انه ماكس يخبرها عن وصوله؟

فوجئت بسماع صوت شقيقتها بربارة تقول لها في آخر الخط:

ـ هذه انت، يا جينيفر؟

ـ نعم، كيف حالك؟ هل المسرحية تجري كما توقعت لها؟

ـ المسرحية توقفت ولم يفاجأ بذلك أحد. الا تقرأين الصحف؟

ـ كلا.

ـ هناك قطار في الحادية عشرة، هل بامكانك ان تجلبيني بسيارتك؟

ـ من اين؟

ـ آه! ارجوك، يا جينيفر، اسمعي ما أقول لك: من محطة هارفورد. توقفت المسرحية وأنا من دون عمل في الوقت الحاضر. وسأكون في عطلة لمدة اسبوع او اسبوعين. هل ستأتين لجلبي، نعم ام لا؟

حاولت جينيفر السيطرة على الجنون الذي احتلها وقالت بتلعثم:

ـ انا... أوه... سأفعل كل جهدي.

ضحكت بربارة بسخرية وقالت:

ـ شكراً لانتباهك، يا اختي العزيزة. الى اللقاء، اذن.

دخلت العمة ميري في الحال وسألت:

- من المتصل بنا، يا حبيبتي؟

- بربارة. ستأتي الى هنا لقضاء بضعة أيام معنا.

- سنكون جميعنا فرحين برؤيتها وسماع اخبارها.

- اخبارها ليست مفرحة... توقفت المسرحية التي كانت تلعب فيها لأنها لم تنل اي نجاح. وهي الآن من دون عمل.

- ليس لوقت طويل، أنا أكيدة من ذلك. انها فتاة جميلة جداً، وستجد دوراً آخر بسهولة.

- آه، نعم! ربما تفكر بأخذ دور في مسرحية ماكس هاندريك الجديدة. اعتقد انها آتية الى هنا بغية التعرّف اليه. ولحسن الحظ انه لم يعد بعد.

- بلى، لقد عاد، وجئت خصيصاً لأبلغك الخبر. الم تسمعي صوت سيارته؟

- يا الهي! لا ينقصني بعد الاّ هذا!

بعد قليل توجهت جينيفر الى مكتب ماكس، مرتاحة البال. المنزل نظيف ومرتب والعمل المطلوب منها انجزته نهائياً.

- صباح الخير! هل قمت برحلة جيدة؟

- تقريباً.

في صوته غضب شحيح. أضاف يقول:

- وانت؟ هل تمكنت من اشغال نفسك خلال مدة غيابي؟

انقبض قلب جينيفر. لا شك انه رأى جون وعرف بوجوده في المنطقة.

- أنا حرّة ان اتصرّف بوقتي الحرّ كما اشاء.

- أنا لا اتكلم عن وقتك الحرّ.

اشار الى المكتب وقال:

- هذا بريد متكدس، اليس كذلك؟ الم تلق عليه نظرة واحدة!؟

احتجت قائلة:

- لم تطلب مني ان افتحه.

- حتى الرسائل المرسلة اليك، وحيث سجلت كلمة «طارئة»؟

اشار الى ثلاث رزم ضخمة مرسلة باسمها، فقالت باستغراب:

- انها مرسلة اليّ؟ ما هي؟

- انها تحتوي على عمل لك.

رمى الرزم على المكتب بقسوة وقال:

- تحتوي بتفصيل على المراجعات التي قمت بها، بعد الاجتماعات العديدة التي عقدتها، ونص الفصل الثاني. كنت اريدها اليوم، وجئت خصيصاً لآخذها ولأعود الى لندن في المساء. لكن الظاهر، عليّ ان انتظر مدة أطول.

تمنت جينيفر في هذه اللحظة ان تختفي من الوجود. لكن يجب عليها مقاومة وجه ماكس، الذي قال بصوت لاذع:

- ادفع لك معاشاً للقيام بالاعمال الموكلة اليك. الم تقرأي العناوين على الرسائل قبل ان تجلبيها الى هنا؟ ماذا جرى لك؟ هل انت عاشقة؟

احمرّ وجه الفتاة، فقطّب ماكس حاجبيه واضاف يقول:

- اذن كنت على حق! جون عاد! كان يجب عليّ ان اشك بذلك. لمصلحتكما معاً من الأفضل الاّ يبقى هنا.

- جون ليس هنا، في القصر. لقد نزل في فندق في هارتفورد.

www.elromancia.com

- صحيح؟ هذا ما سنراه!

صرخت بغضب شديد:

- اريده ان يبقى. لقد جاء لرؤيتي وهذا الأمر لا يعنيك اطلاقاً. ما دام غير موجود في طريقك، دعه أذن وشأنه.

- ارى في ذلك مانعاً كبيراً. وجوده له تأثير سيء على عملك وعلى قلبك.

احمرّ وجه جينيفر وقالت:

- أنا آسفة. لم أعرف انك ارسلت لي عملا. لا شك انك ستضطر لتوظيف سكرتيرة اخرى لكي تطبع لك كل التصليحات المتأخرة...

وبيدها المرتجفة، اخرجت من جيب تنورتها الظرف الذي اعطاه لها جون يوم وصوله والذي يحتوي على شيك معاشها. وقالت:

- ... ومن الأفضل ان تأخذ هذا لتدفعه للسكرتيرة الجديدة.

رمت الظرف على قدميه، فتأملها ماكس مدة طويلة، بوجه جامد، ثم سألها:

- ومن اين لك هذا؟

- جلبه لي جون. ما دمت لا تريده ان يأتي الى هنا، لماذا طلبت منه ان يعطيني هذا الشيك؟ هل اعتقدت بأنني أقبل هذا المال اذا جاء من يده؟ انت مخطىء كلياً.

- هل تريدين ان تقولي لي بأنك فعلت كل هذه الاعمال بدافع... بدافع الحب؟

- كلا. لقد اتفقنا على معاش في البداية، لكن قيمة هذا الشيك تفوق بكثير المبلغ المتفق عليه. اريد فقط ما استحقه.

- يتهيأ لي، في هذه اللحظة، انك بحاجة الى صفعة.

رجعت الفتاة الى الوراء وقالت:

- اذا رفعت يدك عليّ...

قال لها بنظرة حانقة ومستاءة:

- لا انوي ان ألمسك ابداً. لكن معاشك ليس ربحاً غير شريف. واضافة الى ذلك كان عليّ ان ادفع لك اجرة تعبك في تحضير العشاء. لماذا ترفضين هذا المال؟

- لأنه كثير.

- لا اعتقد ذلك. لن اسمح لنفسي ان اناقش امرأة!

انحنى ولمّ المغلف ومزقه اربا وقال:

- ... هل انت راضية الآن. وبانتظار...

اخرج من جيبه حقيبة المال، وعدّ بعض الاوراق النقدية ثم وضعها امامها على الطاولة وقال:

- اعتقد بأن هذا المال يناسب ما اتفقنا عليه. وسأضيف خمسة جنيهات لتحضيرك العشاء.

ثم اضاف خمسة جنيهات اخرى وقال:

- وهذا من اجل العناق...

خلع سترته ورماها على الكرسي وقال:

- قررت البقاء. بامكانك ان تحضري الآن القهوة بينما اقوم انا ببعض المكالمات الهاتفية.

ادارت جينيفر ظهرها وتوجهت الى الباب كالآلة، فقال لها:

- خذي اموالك، يا جينيفر.

اخذت المال وتوجهت الى المطبخ. وبينما كانت تنتظر ان تغلي

الماء، سمعت فجأة احداً ينادي اسمها. التفتت نحو الصوت واذا بها ترى جون واقفاً على عتبة الباب، يبتسم لها. ردت على ابتسامته بابتسامة مرغمة، فدخل جون وسألها:

ـ ماذا جرى، يا حبي؟ هل تخافين ان يرانا الوحش معاً؟

ـ آه، لا تكن احمق، يا جون. ماكس ليس مسروراً مني. ارسل لي بعض العمل وانا لم انتبه له. في كل حال...

ـ ربما كنت تفكرين بشيء آخر.

ادارت جينيفر وجهها وشرعت تعدّ القهوة. كانت خائفة ان يقرأ ما يدور في ذهنها. فقال لها:

ـ انت شاحبة الوجه. هل عاد ماكس يشغلك بكثرة كأنك عبدة له؟

ـ انا لست عبدته. لكنه يدفع لي معاشاً. على فكرة، لماذا وكّلك ماكس ان ترسل اليّ الظرف الذي يحتوي على الشيك؟ لقد قلت لي انه لم يكن يريد ان يراك هنا في القصر. والظاهر انه لم يكن يتوقع زيارتك...

ـ لم يطلب مني ان افعل ما فعلت في الحقيقة. لكنه كان قد كتب اسمك على الظرف، وانا وفّرت عليه ارساله في البريد، هل فهمت؟

ـ ليس تماماً.

فجأة شعرت جينيفر بالتعب والانهيار وقالت:

ـ لا افهم جيداً لماذا جئت الى هنا؟ كي تزعجه وتسبب له المشاكل؟

ـ لا، ابداً. جئت لأراك انت، يا جينيفر.

انتفض قلب الفتاة فرحاً وراح يخفق بقوة وسرعة جنونية. فتابع

يقول بأسف:

ـ لكن... طُلب مني العودة الآن، ولديّ حظ كبير ان اجد عملا. سأعود بعد اسبوعين. وسأدعوك الى تناول العشاء معي ذات مساء والرقص أيضاً. اتفقنا؟

ـ اتفقنا. آه، جون، هذا امر رائع!

ـ ليس تماماً. فالمطاعم هنا ليست جيدة ومسلية. لكن لنحيا في الأمل. في كل حال عليّ ان اشكرك على ضيافتك.

خفّ فرحها اثر هذه الكلمات، لكن جون راح يداعب خدها، فظلت واقفة امامه بجمود، وابريق القهوة في يدها، خائفة وفرحة في آن واحد.

قال لها بلطف:

ـ فكّري بي من وقت الى آخر.

اخفضت جينيفر عينيها. لن تستطيع بعد الآن التفكير الاّ به وانتظاره بفارغ صبر. ولما ذهب عادت الى المكتب. كان ماكس يتحدث على الهاتف. تناولت جينيفر الرزم الثلاث وفتحتها وأطلقت زفرة عميقة لرؤية كثرة العمل بانتظارها.

بعدما اقفل ماكس السماعة، قال:

ـ ما بك، يا جينيفر؟ الفراق ليس ألماً ناعماً للمغرومين؟

انه يسخر منها تحت قناع لا يخرق. فأجابته بصوت مرتجف:

ـ انا اكرهك، يا ماكس هاندريك.

هزّ كتفيه وقال:

ـ هذا من حقك، يا عزيزتي. كل ما اطلبه منك ان تطبعي على الآلة الكاتبة. لندع عواطفنا خارج العمل، من فضلك.

نهضت من مكانها، بصمت وتقلص، ونظرت اليه وقالت:

ـ قبل ان ابدأ بالعمل، هل في امكاني ان اجري مكالمة هاتفية. يجب ان اطلب سيارة اجرة لجلب اختي من محطة القطار. كنت سأذهب بنفسي، لكن...

ـ لكن عودتي بلبلت مخططاتك. سأذهب انا مكانك، اذا وافقت.

ـ شكراً. هل انت اكيد ان ذلك لن يزعجك؟

ـ اذا كان الامر يتعلق بفتاة الصورة، فهذا ليس ازعاجاً، بل فخراً.

ـ وأنا بامكاني ان احضّر لها غرفتها... اقصد غرفتي، ما دامت ستنام في السرير الثاني.

احمرّ وجهها لدى رؤية ابتسامة ماكس الساخرة، فقال لها:

ـ يا لهذا الشعور الأخوي، يا جينيفر! من منكما ستراقب الاخرى؟

ـ لا حاجة لذلك في ايامنا. بربارة ناضجة وواثقة من نفسها.

ـ تقصدين بانها تفعل ما تريده؟ حسناً، تحضّرين غرفة شقيقتك وانا اذهب لجلبها من المحطة في الوقت المعيّن.

اومأت جينيفر برأسها موافقة وانصبت على عملها بنشاط. وبعد فترة طويلة، رفعت نظرها الى ماكس، فرأته يقرأ رسالة، لكنه لم يكن ينتبه لمحتواها. بماذا يفكر، يا ترى؟ في وجهه ملامح سخرية ومرارة. هل يهيء نفسه للقاء بربارة، وجهاً لوجه؟

وفي اعماق نفسها، رددت بغضب:

ـ اكرهه، اكرهه.

قالت ذلك بغية كبت حزنها الذي سببه رحيل جون.

٦ـ نعم اتصل جون اخيراً وكذلك استطاعت بربارة ان تفوز بموعد مع ماكس، لكن السهرة في المطعم مع جون لم تكن تماماً كما تخيلت جينيفر.

بدت الأيام التالية لجينيفر كأنها أبدية. ومرّ اسبوعان على غياب جون وبدأت تنتظر عودته بفارغ صبر. اما علاقتها مع ماكس فتحولت عدائية صريحة وواضحة. لم يوجّه اليها الكلام الا نادراً واضطراراً. وفي كل حال، لم يسمح لهما الوقت للتحدث بالأمور الشخصية. فكانت جينيفر تعمل كثيراً لتعوّض عن التأخير الذي حصل خلال غيابه اضافة الى الحوارات الجديدة التي كان ينصها عليها.

وتحوّل قصر الصنوبر الى منبر تعقد فيه سلسلة من الاجتماعات المتواصلة، مع رجال اعمال كبار، من رجال فن ومسرح. وفي تلك الاثناء، كانت الفتاة تعمل في غرفة الجلوس المجاورة لمكتب ماكس.

www.elromancia.com

واحياناً كانت تسمعهم يتناقشون في مشاريع كبيرة وأموال وفيرة.

بعد ذهاب الزائرين يقبع ماكس في مكتبه، مكرساً كل وقته لكتابة الفصل الأخير من المسرحية. وغالباً ما يبقى مكتبه مضاءً في الليل حتى ساعة متأخرة. وفي الصباح كانت جينيفر تجد على مكتبها تلة من الأوراق المصححة تعيد طبعها على الآلة بفرح ونشاط باختلاف تام عما كانت عليه في البداية.

في آخر النهار، تنصرف للقيام بمهام ادارة المنزل وتحمل اعباء ومتطلبات عائلتها الصغيرة. وفي المساء، تشعر بالتعب الحقيقي وتأوي الى غرفتها التي تتقاسمها الآن مع بربارة. هذه الأخيرة ملأت الغرفة بملابسها المتعددة واغراضها الكثيرة، كأنها تنوي المكوث في القصر مدة طويلة. ولو انت فعلا بغية اغراء صاحب القصر، من المفروض اذن ان تبقى هنا فترة لا بأس بها لأنه حتى الآن، لم يلاحظ وجودها تماماً، لشدة انهماكه في انهاء الاعمال العديدة المتراكمة.

يوم وصولها، كانت بربارة تشع فرحاً وامتناناً، فقالت لشقيقتها:

ـ فكرتك جيدة ان ترسلي ماكس لجلبي من المحطة. هذا حقاً ما كنت اتمناه.

اجابتها جينيفر بلهجة جافة وحادة:

ـ الفكرة ليست مني.

قهقهت بربارة رافعة الى الوراء شعرها الناريّ وقالت:

ـ وهذا افضل بكثير! لقد فعلت حسناً ان ارسلت هذه الصورة. رآها، أليس كذلك؟

ـ طبعاً. لكن، الم يسبق ان التقيت به من قبل؟

ـ كلا، للأسف. انا لا أعاشر قمم المسرح. في كل حال، حظي

أكبر ان الفت نظره هنا، ذلك لأن المنافسة غير موجودة. ماكس هاندريك هو تماماً الرجل الذي يناسبني.

ـ لست الوحيدة التي تحمل هذا الرأي. فالسيدة لانيون، مديرتي، تشاطرك الفكرة نفسها واعتقد انها تتمتع بالأولية.

ابتسمت بربارة وقالت:

ـ في الماضي، ربما. لكن المتزوجات لا يسحرن كالفتيات العازبات مثلي.

ـ انها ارملة.

ـ سجد شخصاً آخر يعزيها. انا أكيدة، بأن السيد ماكس هاندريك سيصب اهتمامه الحاضر على امرأة أخرى.

لكن هذا الانتظار الطويل لقي خيبة أمل كبيرة عند الممثلة الشابة. صحيح انها تعيش تحت سقف واحد مع ماكس، لكن نادراً ما كانت تلتقيه. وازداد غضبها عندما رفضت جينيفر ان تدعوه الى تناول الغداء مع العائلة نهار الاحد.

وفي المرّات القليلة النادرة التي كانت تلتقي به، كانت بربارة تستعمل كل اسلحتها لأغرائه، لكن من دون جدوى. كان يصغي بفرح الى حديثها المتملق، لكن الدعوة التي كانت تنتظرها من جانبه لم تحصل. فأصبح مزاج الفتاة مع مرور الأيام متوتراً جداً.

أما بالنسبة الى جينيفر، فلم تكن تعرف جيداً ماذا كانت تأمل من جون. لم يكتب لها، ولم يتصل بها هاتفياً منذ عودته الى لندن. هل نسي دعوته الى العشاء. لكن هل لديها ما ترتديه في هكذا مناسبة؟ كلا، طبعاً. وليس بامكانها ان تشتري بزة جديدة. فوضعها المالي ساء بوجود شقيقتها التي كانت تستحم مرتين في النهار وترفع فاتورة

الماء والكهرباء، اضافة الى اتصالاتها الهاتفية اليومية الى لندن. ولما ذكرتها جينيفر بالاقتصاد، اتهمتها بالبخل وانهالت عليها توبيخاً.

لكن ذلك كان امراً بسيطاً مقارنة بالتهديدات والاحتجاجات الاخرى الصعبة الاحتمال التي كانت تنهمر عليها يومياً. كانت بربارة تعتبر بأن اختها تعارض خطتها في اغراء ماكس، لأنها تخاف من فيفيان لانيون، أو بالاحرى، لأنها تريد الاحتفاظ به وحدها.

وذات مساء، وبينما كانت الشقيقتان تستعدان للنوم، ردت جينيفر على اتهام بربارة قائلة:

- انت حمقاء، يا بربارة. كيف تفكرين هذا التفكير؟

- صحيح. كل ما اعرفه ان ماكس كان مهتماً بي في البداية، اما الآن، فلا شيء يصدر عنه.

- انه مشغول جداً. لم ير السيدة لانيون أيضاً.

- لكنه يراك انت، كل يوم.

- أنا سكرتيرته، لا أكثر. ونحن متفقان معاً على هذه النقطة. في كل حال...

صمتت فجأة وكادت ان تفضح حالها. اذ ترددت ان تذكر لشقيقتها عن وجود جون في حياتها. فقالت بربارة بسرعة:

- في كل حال... ماذا؟ هل هناك احد في حياتك؟ لا تقولي لي بأنك واقعة في غرام احد الفلاحين. امر لا يصدق! انا التي تعتبرك العذراء الأبدية!

- ليس فلاحاً.

- اذن؟ اذا بقيت خافية السرّ سأعتبر بان ما بينكما امر جدي.

- كلا، ليس تماماً...

لكن احمرار وجهها برهن عكس ذلك. فاضافت تقول:

- ... نرى بعضنا وهذا كل ما في الامر، ذلك عندما يأتي الى هنا. لكننا لم نخرج بعد معاً.

- انا لا استغرب الامر. فلست من النوع الذي يجذب الرجال. وليس بوسعك ان تظهري محاسنك. ما زلت ترتدين التنورة نفسها منذ أيام المدرسة، وهذا القميص البالي الباهت.

- لن ارمي هذه الملابس قبل ان تتلف نهائياً. فليس لدي الوقت ولا المال لأهتم بمظهري، عكسك...

- ربما هذا الرجل يفضّل ان يراك في مظهر آخر، انيق مثلا.

- نعم، طبعاً. لكن ليس بوسعي ان أفعل شيئاً في هذا المجال.

جلست بربارة على سريرها بعنف وقالت:

- هل صديقك يعلمك بموعد وصوله دائماً؟ ربما بامكاني ان اهتمّ بهندامك قليلا عندما يأتي. بامكانك ان تستعيري فستاناً من فساتيني.

- آه، صحيح؟ لقد قال لي بأنه سيصطحبني في المرّة المقبلة الى العشاء، لكنه لم يتصل بي منذ ذلك الوقت...

- ربما كان يخشى ان تخرجي معه بهذه التنورة. ما اسم هذا الدون جوان؟

- ربما تعرفينه. انه يعمل في الديكور المسرحي. انه ابن عم ماكس ويدعى جون كريستي.

التعليق الذي تنتظره جينيفر من اختها لم يحدث. التفتت نحو بربارة المنهمكة في تنظيف وقص اظافرها وهي متكئة على الوسادة، تنظر الى جينيفر باندهاش.

- ماذا بك، يا بربارة تنظرين اليّ هكذا. هل تعرفينه؟

- كلا. لا اعرفه ابداً. اعتقدت ان احد اظافري انكسر. ربما سمعت باسمه، لكنك تعرفين اننا نلتقي دائماً باشخاص المسرح في وسطنا.

- نعم، من دون شك.

لم تنم جينيفر تلك الليلة، بالرغم من تعبها الكبير. كما لاحظت ان شقيقتها ايضاً مضطربة في نومها وفعلت كل ما في وسعها لئلا توقظها. وعند الفجر، غطت في نوم مليء بالاحلام السيئة.

كان ماكس قد بدأ عمله عندما توجهت جينيفر في الصباح الى المكتب. لاحظ وجهها المتعب وعينيها الشاحبتين، لكنه لم ينطق بأي تعليق. لكن لما رآها ترمي الاوراق في سلة المهملات بعد طبعها وملاحظتها الاغلاط العديدة، قال لها فجأة:

- لديك عمل كثير، يا جينيفر.

- ماذا تقصد؟

- انت تديرين هذا المنزل بطريقة رائعة، اضافة الى كل ما تفعلينه من اعمال السكريتارية. هل تريدين ان نقوم بتدبيرات اخرى؟

- هل استاءت السيدة لانيون من خدماتي؟

- كلا. لماذا تفكرين هكذا؟

- تهيأ لي انها ليست معجبة بالخدمات التي اقوم بها.

- لا يهمها كثيراً تنظيم بيتي. وأؤكد لك انها لم تشتكي منك ابداً.

- انا مسرورة لسماعي هذا الكلام، لكنني مندهشة قليلا.

وان صمت متوتر، لا يطاق، بلعت الفتاة ريقها، فقال ماكس بلطف:

- لنعد الى موضوع الحديث. هل لديك عمل كثير بين ادارة المنزل واعمال السكريتاريا؟ تبدين متعبة مؤخراً، حتى الارهاق.

لماذا هذا الاهتمام المفاجيء، هو الذي بالكاد ينظر اليها او يلاحظ وجودها؟ أضاف يقول:

- أنا لست اعمى يا جينيفر. اذن ما هي المشكلة التي تعانين منها؟ حبّ غير مشترك مع جون؟

- هذا الامر لا يعنيك بُتاتاً! آه، لماذا لا تتركني وشأني؟

- كنت أفعل ذلك حتى الآن.

- لا أريد ان اتكلم عن ابن عمك.

- في كل حال، من الصعب ان نتفق معاً حوله. لكنك لم تردي على سؤالي، يا ابنتي.

اجابت بصوت مخنوق:

- بامكاني ان أؤمن العمل بشكل جيد. هل هذا الجواب يشفي فضولك؟

- كلا. لكن ربما لن احصل على جواب آخر. لماذا لا تثقين بي؟

- هل لدي حق ان اثق بك؟

- لم نتفق بعد على هذا الموضوع.

ولحسن حظ جينيفر، انفتح الباب فجأة ودخلت بربارة:

- ارجو الآ اقاطع شيئاً مهماً. جينيفر مطلوبة على الهاتف.

نهض ماكس لياقة وقال:

- كنا نتحدث في موضوع سخيف. اسرعي، يا جينيفر وردي على الهاتف، ما دام ذلك مهمّ.

ولما اغلقت جينيفر باب المكتب وراءها، سمعت اختها تقهقه من

شدة الضحك. لا شك انهما يسخران منها. حديثها مع ماكس جرح شعورها ووضعها في موضع غامض. تناولت السماعة واعطت اسمها بنبرة مستاءة. فسمعت على الطرف الآخر:

- جينيفر، هل تصورت انني نسيتك؟

صرخت من الفرح وقالت:

- آه جون... لم... لم اعرف ماذا افكر.

كانت يدها ترتجف على السماعة، وهو يقول:

- كان لدي عمل كثير في الايام الأخيرة. كان عليّ ان أعرض رسومي والتقي بالاشخاص، ربما تعرفين كم هذا يتطلب مني وقت وتعب. اما الآن، فانا حرّ وسأصل الى هارتفورد في أواخر بعد الظهر. هل انت مرتبطة لهذا المساء؟

قالت بتردد وتلعثم:

- اوه... كلا...

- رائع. لقد حجزت طاولة لنا في مطعم «الغرباء». وسآتي لاصطحابك في السابعة والنصف، اتفقنا.

- لا يسعني الانتظار.

- يا قلبي، انت انسانة رائعة حقاً.

اغلقت السماعة بلطف. لقد ناداها: «يا قلبي». هل هذه فقط كلمة ناعمة كالتي تستعملها بربارة في حديثها في مختلف المواضيع، ام ان ذلك دليل شعور عميق؟

في تلك الاثناء وصلت العمة ميري الى المطبخ ورأتها، فقالت:

- من اتصل الآن، يا حبيبتي، اصدقاء بربارة؟

اجابت بابتسامة متألقة:

- ليس في هذه المرّة، انه جون. يدعوني الى العشاء في المساء.

- هذا الخبر يفرحني... وسأكون سعيدة لرؤيته من جديد.

عادت جينيفر الى مكتب ماكس على مضض، والتقت في الممر بشقيقتها، ترندح أغنية عصرية. قالت بربارة عندما رأت اختها:

- هذه انت مثال السكرتيرات المطيعات. طلبت منه ان يتصرّف معك بلطف. من السهل الحصول منه على ما نريد، فقط اذا عرفنا كيف نتصرّف بلياقة.

- وهل تعرفين انت التصرف بلياقة؟

ضحكت بربارة واجابت:

- طبعاً. مستقبلي المهني يبدو مشعاً. تخيّلي، لندن اولا، ثم ربما برودواي، والنجاح مؤمن في مسرحيات ماكس هاندريك! عليك ان تفرحي من اجلي.

- لا شيء اكيد حتى الآن.

- لكن الطريق اصبح مفتوحاً! دعاني لمشاركته السهرة، في المساء. وهذه الفرصة لن افوّتها. على فكرة، هل تلقيت اخباراً من خطيبك؟

- سيأخذني الى العشاء في المساء. هل بامكانك ان تعيريني فستاناً كما وعدت؟

- طبعاً. سأذهب لتوي لأرى ما يمكنني ان اختاره لك.

جلست جينيفر امام مكتبها متحاشية نظرات مديرها الساخرة. بعد صمت قصير، سألها:

- ما زلت تعيسة، يا جينيفر. ماذا جرى. هل خاب املك المكالمة الهاتفية كانت من جون، أليس كذلك؟

اجابت بحزن:

www.elromancia.com

- نعم. واتفقنا على الخروج في المساء. لقد دعاني الى تناول العشاء معه في مطعم «الغرباء». لا شك انك سمعت عنه.

- نعم، بالفعل. وتذوقت وجباته اللطيفة.

- سأذهب، طبعاً اذا كنت لا تجد مانعاً.

- لا، اطلاقاً. لا شك انك ستفرحين بهذه السهرة.

بعد عدة ساعات، كانت جينيفر تنظر الى المرآة، غير مصدقة. امامها فتاة غريبة. ثوبها بلون الجاد يضيء عينيها الجوزيتين ويضيف اليهما بريقاً اخضر قاتماً. شعرها رفع كعكة انيقة باصابع بربارة المختصة. داعبت قماش ثوبها الكتاني الناعم بعصبية وقالت:

- بربارة! لا يسعني ان ارتدي هذا الثوب! هذا القماش كلفك غالياً، وماذا سيحصل ان لطخته؟

- ترسلينه الى المنظف. في كل حال، لم اعد احب هذا الفستان، لأنه يظهرني بمظهر الفتاة الصبية الساذجة!

نظرت جينيفر الى اختها، مندهشة من لهجتها المرّة، وقالت بصراحة:

- بالكاد استطيع ان اتعرف الى نفسي في هذا الثوب.

- هذا تماماً الهدف المطلوب.

- لا أعرف كيف اشكرك، يا اختي العزيزة.

- لا تبالغي، ارجوك. ما فعلته يفرحني. وأنا متأكدة الآن ان باستطاعتك ان تكوني جذابة اذا ما اهتممت بنفسك اكثر.

تناولت جينيفر الشال الابيض، هدية العمة ميري، ووضعته حول كتفيها، ثم قالت متسائلة:

- يتهيأ لي ان الجرس يرنّ.

حملت جينيفر حقيبة يدها الصغيرة الخضراء التي تناسب صندلها فنصحتها بربارة قائلة:

- لا تسرعي في النزول. الغياب يجعل القلب محباً.

نهضت بربارة من مكانها ووقفت أمام المرآة، معجبة بنفسها، ثم ابتسمت لأختها وقالت:

- لا أريد ان اخيّب أمل ماكس. لا تنظري اليّ هكذا... أنا لست بحاجة الى دروس في الاخلاق. اعرف تماماً ما افعله.

- ربما. لكنك لا تعرفين ماكس هاندريك!

- وانت، تعرفينه على ما أظن؟ بصراحة، ممن تسخرين؟ شكراً لتنبيهك اللطيف، يا حبيبتي.

كانت جينيفر على وشك ان تحدثها عن لورا، لكن ما فائدة ذلك. في الطابق الأرضي، المدخل والممر يعمهما الظلام، لكن ظهر نورا في الصالون. سمعت العمة ميري تقول:

- هل تريد فنجان قهوة بانتظار مجيء جينيفر؟

هتفت جينيفر في الحال:

- لقد وصلت.

وقفت في أعلى السلالم، تريد ان يراها جون هناك، جميلة من اجله.

وفجأة، انفتح باب الصالون وامتلأ الممرّ والمدخل بنور مشعّ. تقدم ماكس الى اسفل السلالم ونظر اليها، كأنه ينظر الى فتاة غريبة. كبتت الفتاة صرخة الخيبة، وتذكرت لحظة فاجأته في المطبخ، معتقدة انه جون. فقالت بصوت مخنوق:

- كنت افكر... كنت انتظر رؤية ابن عمك.

www.elromancia.com

- اعرف. وأنا تصوّرت انني ارى اختك.

هبطت السلالم بخطوات بطيئة، منزعجة من الكعب العالي لأنها غير معتادة عليه ونظرة ماكس تراقبها بتفصيل.

- بربارة لم تفرغ بعد من تحضير نفسها. لقد... كانت تساعدني على اختيار الزي المناسب.

ابتعد ليدعها تمرّ الى الصالون، حيث كانت العمة ميري تحضر الكؤوس وتيم ينظر الى التلفزيون. رفع الصبي نظره نحو اخته وصرخ باعجاب:

- يا لهذا اللون الرائع، أليس كذلك، يا ماكس؟

- بالفعل. لكن رأيي لا يهم جينيفر.

- كل الفتيات يحبين كلمات المديح، أليس كذلك، يا جينيفر؟

شعرت بالاحمرار يعلو وجهها. ماذا يفعل جون؟ لماذا لم يصل بعد؟ جرعت قليلا من المشروب وكادت تختنق. ظل ماكس يراقبها.

بعد ربع ساعة وصل جون وبدأ يكيل الاعتذارات. فوجيء برؤية ماكس في الصالون. صافح الرجلان بعضهما ببرود وجينيفر تشعر بضرورة الخروج من هنا بسرعة.

خرج الجميع الى المدخل، وفي تلك الاثناء كانت بربارة تهبط السلالم. كانت ترتدي فستاناً ليلكياً ضيقاً، وشعرها الناري منسدل على كتفيها. ولما وصلت الى اسفل السلالم، قالت لاختها:

- تذهبين الآن، يا اختي. ارجو لك سهرة ممتعة.

ثم ابتسمت لجون وقالت له:

- اعتني جيداً بأختي الصغيرة.

- طبعاً. كيف حالك، يا بربارة. انا سعيد لرؤيتك من جديد.

- انا في احسن ما يرام، يا عزيزي!

توجهت نحو ماكس ومدّت له يدها وسألته بصوت منخفض، حميم:

- هل جعلتك تنتظر طويلا؟

- هذا يستحق الانتظار!

تناول اليد الممدودة ورفعها الى فمه، فتأبط جون ذراع جينيفر وقال:

- هيّا نذهب بسرعة، والاّ تأخرنا.

لم ينطق الرجل بكلمة واحدة طيلة الطريق. فالطرقات المؤدية الى المطعم ضيقة ومتعرجة واعتقدت جينيفر انها كانت تشغل انتباه جون، كلياً.

مطعم «الغرباء» فيللا قديمة سقفها منخفض وجدرانها خشبية. في الزاوية موقد نار تشع منه رائحة الكستناء والبصل المشوي. بعض الطاولات كانت مليئة بالزبائن، والحديث يعمّ المكان.

نظر جون الى جينيفر وقال لها:

- هل قلت لك بانك رائعة؟

ارتعشت فرحاً لدى سماع صوته العذب الدافىء، فقالت له بصراحة:

- هذا كله بفضل بربارة. الفستان والحذاء والحقيبة اليدوية ملكها.

سكتت لحظة، ثم اضافت تقول:

- ربما ما كان يجب عليّ ان ابوح لك بذلك.

www.elromancia.com

- لماذا؟ هذا الثوب يليق بك اكثر من بربارة!

- انا... انا لم اكن اتصوّر انك تعرف بربارة، لم تكن تتذكر اسمك عندما حدثتها عنك.

شربت جرعة من كأسها وراحت تحدق بالزبائن وتتساءل عن مناسبة مجيئهم الى هنا، فسألها جون:

- بماذا تفكرين؟

- آه! كل هؤلاء الناس الذين يحيطون بنا. من زمان وأنا أحب مراقبة الناس.

- أنت وماكس عندكما نقاط مشتركة عديدة.

- لا اعتقد ذلك.

- هل عارضك ماكس عندما عرف بأنك خارجة معي في المساء؟

- ليس تماماً. في كل حال، لا يحق له ان يتدخل في شؤوني الخاصة، ولا علاقة له في ما افعله او لا افعله.

- تتحدثين بطلاقة. لكن، يا قلبي، يجب ان تعرفي ان ابن عمي يتدخل بجميع الأمور.

- هل بامكاننا تغيير الحديث من فضلك؟

- طبعاً. حدثيني عنك.

احتجّت قائلة:

- ليس الحديث عني موضوعاً شيقاً. في كل حال تعرف كل شيء عني.

- بالعكس ما اعرفه عنك قليلاً جداً. انت فتاة تحب البقاء في المنزل والاعتناء به، كذلك انت طباخة ماهرة. تعرفين تحمل المسؤوليات والاهتمام بالعائلة.

- هكذا، اذن تراني. ملازمة البيت ومتصنعة.

- كلا... اعتقد بانك لطيفة ومختلفة كلياً عن بقية افراد العائلة. ماذا تنتظرين من هذه الحياة؟

- ما تنتظره الفتاة عادة، على ما أظن.

- زوج ومنزل وضمانة حتى آخر الحياة.

غمزها وتابع يقول:

- انت فتاة متطلبة، يا جينيفر. لديك الآن عائلة تحت رعايتك ومسؤوليتك.

وتلى ذلك الحديث صمت مؤلم. هل يقصد بذلك انه ليس مرشحاً للزواج منها؟ بعد قليل، جاء الخادم حاملا صينية الطعام. شعرت بالخجل لهذه الاوقات الحميمة، بينما راح جون يثرثر بفرح ويحدثها عن عمله. شيئاً فشيئاً شعرت بالاسترخاء. كم هو جميل ان تتمتع بتذوق الطعام من دون ان ينشغل بالها في تحضيره وجلي الصحون. ضحكت عندما قالت لجون ما يدور في ذهنها.

فقال لها:

- يا جينيفر المسكينة. تتكلمين مثل سندريللا. هل سيتحول ثوبك الى سروال جينز وقميص باهت عندما يدق منتصف الليل؟

جرح شعور الفتاة اثر هذا الكلام. كان الخادم يهتمّ بجلب القهوة والحلوى والفاكهة. بعد قليل، نهضت فقال لها:

- آه، حان وقت العودة، على ما اعتقد.

ولما وصلت جينيفر الى الباب، شعرت بأن شخصاً في المطعم يراقبها. التفتت فاذا بنظراتها تشتبك مع نظرات السيدة لانيون. ابتسمت لها الفتاة، فأجابت فيفيان بهزّ رأسها. لم تكن تحبذ التغيير

الذي حدث للفتاة. فشعرت باضطراب وارتطمت بخادم، فوقع المشروب على غطاء الطاولة، فصرخت جينيفر معتذرة:

ـ آه! انا متأسفة، يا الهي! ماذا فعلت يا جون؟

ـ لا اهمية لذلك. لنذهب قبل ان تسببي اضراراً اخرى. الخادم سينظف المكان، لا تخافي.

وقبل ان تغلق الباب وراءها، نظرت مرّة اخيرة نحو مديرتها، ورأتها تبتسم باستياء واحتقار. ولما جلسا في السيارة، قالت جينيفر:

ـ جون، انا آسفة حقاً.

ـ لا تفكّري بالأمر.

في طريق العودة، استرخت قليلا. استعاد جون مزاجه الطيب وراح يغني بصوت ناعم، فعلت جينيفر مثله، وبسرعة وصلا الى القصر.

فقالت جينيفر باستغراب:

ـ هذا امر غريب. العودة تبدو دائماً اقصر من الذهاب.

ـ لم الاحظ ذلك.

اطفأ المحرّك واتكأ على المقعد. بدأ قلب جينيفر يطرق بقوة، فحاولت الكلام بصوت عادي، وقالت:

ـ لقد امضيت سهرة ممتعة. شكراً.

ـ وانا كذلك. يجب ان نكرر هذا الشيء مرّة اخرى.

ـ اذن، تصبح على خير!

نزل جون من السيارة ليفتح لها الباب. نزلت جينيفر وظلت جامدة مكانها تأمل ان يأخذها بين ذراعيه. ارتعشت.

ـ ادخلي بسرعة، يا ابنتي. الطقس بارد جداً.

ـ نعم.

توجهت الى الباب الرئيسي، فتحته بالمفتاح، ثم نظرت من جديد نحو جون وردت على تحيته. اغلقت الباب بانتباه، واجهشت بالبكاء.

www.elromancia.com

٧ـ كان لا بد للعشاء مع جون ان يفشل فشلاً ذريعاً لأن جينيفر لم تعرف كيف تتصرف. وعندما عادت الى القصر وجدت في العمل ملاذاً لها. . . غير ان المفاجآت توالت كقطرات المطر في العاصفة. . .

كان المنزل غارقاً في الظلام. والعمة ميري نائمة، وبربارة لم تعد بعد من سهرتها مع ماكس. جلست جينيفر على طاولة المطبخ تبكي وتندب حظها السيء. حلمها تبخر دخاناً اسود، والليل سيبدو لها طويلاً، لا يطاق. كيف ستواجه اسئلة بربارة وكيف ستشرح لها بأن جون تخلص منها كأنها رزمة بلا فائدة.

لا جدوى في الذهاب الى النوم، ما دامت متأكدة انه لن يغمض لها جفن. كبتت موجة بكاء اخرى وقررت ان تفعل شيئاً لتغيّر مزاجها وكآبتها. بامكانها ان تعمل في مكتب ماكس على بعض الفصول، ومتى رأت اضواء سيارته، تنسحب بهدوء الى شقتها. اما اذا رآها بالصدفة، فستقول بأنها وصلت لتوها.

انصبت على عملها بشغف وحماس، وسرعان ما بدأت شخصيات المسرحية تشغل عقلها، تعيش معها وتندمج في سياق القصة. يا له من كاتب رائع! في مؤلفاته، يظهر عن كرم وطرافة، فلماذا يظهر مختلفاً في الحياة اليومية؟ وضعت الصفحات المطبوعة على مكتب ماكس وأحست بالدوار يحتلها.

لماذا كلما تفكر بجون، ترتسم امامها صورة ماكس؟ كان يأخذها بين ذراعيه ويعانقها بحنان وشغف. لكن، لا يجب ان تفكر فيه، فهناك فتاة شابة كادت ان تموت بسببه. والقدر نفسه ينتظر كل النساء اللواتي يحببن هذا النوع من الرجال.

لماذا تفكر بماكس الآن، هذا امر سخيف، ما دامت تكرهه. انها واقعة في حب جون، وهذا امر حتمي.

فجأة سمعت صوت الباب، فعادت الى الواقع. اطفأت النور وفتحت الستائر. لكنها لا تستطيع رؤية سيارة ماكس، ربما لأنه وضعها في المرآب بل سمعت خطواته في المدخل، ثم في الممر، وارتعشت عندما مرّ امام باب المكتب. . . لكنه لم يدخل، بل توجه الى المطبخ، لا شك انه يريد احتساء فنجان قهوة. لا ضجة. لا حركة. ذهبت الى الصالون بخطوات بطيئة، واذا بها تطلق صرخة ناعمة عندما شعرت بيد على ذراعها. قال ماكس بلطف:

ـ اذن، هذه انت؟

تقدم من باب مكتبه ورأى تلة الأوراق المطبوعة، فسألها بسخرية:

ـ وكم ستطلبين مني لهذا العمل الاضافي؟

ـ لا شيء! كنت. . كنت اشعر بحاجة للعمل. . .

نظر اليها بامعان، يتفحص بتفصيل شعرها المشعّث وآثار الدموع على خديها، وقال:

- ماذا حدث، يا جينيفر؟

اجابت وهي تحاول متابعة طريقها:

- لا شيء. لقد امضيت سهرة ممتعة. لكنني لم اكن اريد ان آوي الى فراشي في الحال و...

- لا تكذبي. من النادر ان تقوم فتاة بالعمل بعد قضاء سهرة ممتعة مع الحبيب.

لم تنطق جينيفر بكلمة، وكانت تحدق بالأرض، فأصرّ قائلاً:

- اذن، ماذا جرى؟

فجأة احست بالأرض تدور حولها وصرخت:

- آه! يا الهي!

شعرت به يحملها بانتباه ويضعها على الكنبة في الصالون ثم اشعل النار. وجينيفر تريد ان تكف عن البكاء، تضغط بمعصمها على عينيها لتمنع انهمار الدمع، لكن من دون جدوى. اقترب منها ماكس وقال:

- اشربي هذا.

- ما هذا؟

- شراب مقوٍ. لا تطرحي الأسئلة. اشربي.

- انه دواء مرّ...

- لا، انه ماء الزهر.

- آه، صحيح. آه، انا لا اعرف شيئاً... وهذا المساء خلال العشاء، لم اكن اعرف معظم الوجبات. ولدى خروجي من المطعم

ارتطمت بالخادم الذي اوقع الشراب على الطاولة بسببي. وجون عاملني كطفلة.

- صحيح؟

رفعت عينيها نحوه وقالت:

- كان على حق مئة في المئة. ولا شك انه من اجل...

ترددت، فقال لها مصراً:

- ماذا؟

- ربما لهذا السبب لم يعانقني.

احتست جرعة من ماء الزهر وأضافت تقول:

- ... كنت اتوقع ان يفعل ذلك. وكنت اشعر برغبة في ان يعانقني. لكن، لا. حلمي الجميل انتهى. هذا جعلني افهم...

أخذ ماكس الكأس منها، رفعت نظرها نحوه فجأة، فراح يتأملها بحزن، ثم قال:

- وماذا فهمت، يا جينيفر؟

- بأنني ما أزال طفلة. لو كنت ابدو اكثر نضوجاً، لعرفت كيف اجعله يفهم ما كنت اريده منه.

تابعت وكأنها تتكلم في الحلم:

- بربارة تعرف كيف تجذب الرجال. فحسب رأيها، الرجال يشعرون دائماً برغبات المرأة السرية. لكن هذا لا يمشي معي.

- لماذا تقولين مثل هذه الحماقات، يا جينيفر. ابن عمي المجذوب لم يعرف ان يقرأ ما يدور في داخلك، لكن ذلك لا يعني بأنك فتاة لا تجذب الرجال.

نظرت اليه بحزن وقالت:

www.elromancia.com

- صحيح. لقد عانقتني انت مرة، لكنك فعلت ذلك من دون رغبة. أثرت غضبك وأردت ان تقاصصني.

- اذا كنت تفكرين هكذا فعلاً، يا جينيفر، يعني ذلك بأنك حقاً طفلة. تبدين فتاة جذابة، حتى ولو كانت حوادث هذا المساء تظهر العكس. كل رجل جدير برجولته يشعر بانجذاب نحوك.

- هل انت ترغبني، يا ماكس؟

وما ان نطقت بهذه الكلمات حتى احتلها الخوف. هل اصبحت فتاة مجنونة؟ تمنت ان تهرب من هنا، لكن فات الأوان. كان ماكس جالساً قربها يمد لها ذراعيه ويضمها اليه بشدة ويقول بصوت ناعم:

- نعم، هل يجب ان ابرهن لك ذلك؟

كانت خائفة من وقاحتها، فهمس في اذنها قائلاً:

- استرخي.

اغمضت جينيفر عينيها، وفجأة ابتعدت عنه، فسألها:

- ما بك؟

نظر اليها بتعبير مليء بالمرارة وقال لها:

- هل انت نادمة على عدم تجربتك في هذا المجال؟ لا تقلقي، يا عزيزتي. تخيّلي الآن بأنني جون وكل شيء سيكون على ما يرام.

بعد عناق طويل استيقظت في الفتاة احاسيس جديدة لكن ماكس اطلق شتيمة مخنوقة وأبعدها عنه. ثم نهض ليجلب سكائره عن الطاولة قرب الموقد. وقال لها بصوت بارد:

- حان لك ان تأوي الى فراشك، يا جينيفر.

- لكن... ماذا فعلت؟

اجابها بسخرية:

- لا شيء ابداً، يا عزيزتي. كنت ناعمة وحنونة جداً. سيفاجأ جون بفرح لدى لقائكما القريب.

جلست جينيفر على الصوفا وسألته:

- ماذا تعني؟

- هيا، يا جينيفر، هذا ما ترغبيه، اليس كذلك؟ الآن، بعدما ايقظت فيك بعض الأحاسيس الغريبة، الدرس يتوقف هنا. انا مستعد ان اكمل الدرس، لكنني اكيد بأنك لا ترغبين في ذلك. في كل حال، لا يحب ابن عمي ان اعتدي على ممتلكاته.

جمدت جينيفر مكانها كالبلهاء وصمتت. فجأة احتلها الغضب، فنهضت وقالت:

- كيف... كيف تجرؤ ان تفكر ان... آه لا اسمح لك ان..

- ليس لديك خيار آخر. انت محظوظة لأنني لم اغتنم الفرصة و... لا تلعبي بالنار، يا جينيفر.

- يا لهذا العمل البطولي! لكنني اعرف سبب كرمك! كنت تخشى ان اتصرف مثل لورا، اليس كذلك؟

نظر اليها لحظة، ثم رمى سيكاره في النار وأصدر شتيمة وقال:

- كيف عرفت بذلك، آه، طبعاً، ابن عمي! يا له من رجل خبيث!

- اخبرني ليحذرني، لأنه كان يعتقد بأنك ستنازلني وتغريني و...

- لكن، انت بدأت اللعبة، هذا المساء، يا عزيزتي، هل نسيت ذلك؟

- ولورا؟ هل كانت ايضاً هي التي تدير اللعبة؟

www.elromancia.com

تقدم منها، فخافت ورجعت الى الوراء وارتطمت بالكنبة.
فتوقف، ووضع يديه على ردفيه ونظر اليها باحتقار وقال:
ـ من الأفضل ان تذهبي من هنا، في الحال، يا جينيفر. لست مسؤولاً ان وضعت يدي من جديد عليك. هيا، اختفي عن وجهي!
كانت ما تزال ترتجف عندما وصلت الى غرفتها. اغلقت الباب وراءها، ثم اسندت عليه ظهرها لحظة، لتهدىء انفاسها المتقطعة.
وهتف صوت بربارة المستاء في العتمة:
ـ هذا انت اخيراً.
اشعلت الممثلة النور وقالت بسخرية وهي ترى شعر شقيقتها المشعث:
ـ لا ضرورة ان اسألك ان امضيت سهرة ممتعة. هل مزق عشيقك الملتهب فستاني، يا ترى؟
ـ كلا.
ـ تعرفين ان تخبئي لعبتك! كنت اتصوّر، بصراحة، انك ستعودين قبل منتصف الليل، بعد قضاء سهرة مملة للغاية.
اطفأت جينيفر الأضواء وخبأت وجهها في الوسادة. لو كانت بربارة فتاة لطيفة وصدوقة، لكشفت لها عن قلبها. لكن من الأفضل ان تدعها تصدق ان المغامرة حصلت لها بينما كانت مع جون. في اعماق قلبها، كانت مذعورة ومضطربة لما حدث، الى درجة انها لم تستطع ان تنام. وظلت طول الليل تفكر. وكان عزاؤها الوحيد ان ماكس متأكد جداً بأنها تحب ابن عمه. كيف بامكانه ان يتصوّر انها وقعت في حبه هو الى درجة اليأس؟

في صباح اليوم التالي، شعرت بالتعب والانهيار. وارتدت سروالها الجينز والقميص العتيق وربطت شعرها. سألتها العمة ميري:
ـ هل عدت في ساعة متأخرة، يا حبيبتي؟
ـ اعتقد ذلك.
ـ اذن خذي فطورك بسرعة لئلا تتأخري عن عملك.
ناولتها العمة صينية عليها بيض مقلي فنظرت اليها الفتاة باشمئزاز. سألتها من جديد:
ـ هل عدت البارحة في ساعة متأخرة؟
ـ نعم.
جلست العمة ميري وسكبت لنفسها فنجان قهوة وقالت:
ـ هذا امر غريب. تهيأ لي انني سمعت سيارة جون قبل ان اطفىء مصباحي وأنام.
شعرت جينيفر برغبة في الارتماء في احضان عمتها والكشف لها عن كل شيء. لكن العجوز لا يمكنها تحمّل مصائب وعذابات الغير، من دون ان تتأثر صحتها بذلك.
ـ هل امضيت سهرة ممتعة، اذن؟
ـ ممتعة جداً. العشاء كان رائعاً.
ـ سترين جون اليوم ايضاً؟
ـ لا اعتقد.
اومأت العمة برأسها وقالت:
ـ انا سعيدة جداً لسماع هذه الأخبار الحلوة. كم افرح عندما تتمكني من نسيان همومك ومسؤولياتك. وأريد ان يساعدك احد في

تحمّل هذا العبء. آمل ان يتم نصيبك... لكن، هل ابدو حمقاء، يا جينيفر؟

اجابت جينيفر في الحال:

- بيني وبين جون صداقة وحسب، وليس وارداً على الاطلاق ما فكرت به.

- كلا. العانسات نساء عاطفيات... ولا شك انك تملّين من كثرة ثرثرتي. والآن عليك ان تذهبي الى عملك. لقد تأخرت، وسيتساءل ماكس عن السبب.

- لا اظن.

عندما دخلت الى المكتب كان ماكس يجري مخابرة هاتفية. لم ينتبه لوجودها. وهي لم تتوجه في الحال الى طاولتها، بل وقفت جامدة امام مكتبه. بعد اقفال السماعة نظر اليها ببرود، فقالت له:

- جئت اعتذر لتصرّفي مساء امس.

كان صامتاً لكن تعبير وجهه كان مشجعاً. فابتلعت الفتاة ريقها وتابعت تقول:

- لا شك ان ذلك كان عائداً لما شربته، فأنا غير معتادة على هذا النوع من الشراب.

- اعتذارك يشبه نوعاً ما اتهاماً مباشراً...

احتجت جينيفر وقالت:

- لم اكن اقصد ما اقوله. اعرف بأنني لم اتصرف جيداً ولذلك اطلب منك ان تسامحني...

- ولماذا تنتظرين مني، يا جينيفر. ان اعترف بخطايا مثلك؟ اخشى ان اخيّب ظنك. اسفي الوحيد عدم الاستسلام كلياً

لغرائزي وعفويتي.

احمرّت خجلاً وقالت:

- انت لا تساعدني كثيراً.

- ولماذا اساعدك؟ انت من فقد برودة دمه مساء امس، لا تنسي.

- هذه الفكرة تهدد عقلي... هل تقبل استقالتي؟

- كلا. لا يمكنني ان اغير سكرتيرة في هذه المرحلة من عملي.

عادت الى مكتبها وتساءلت: ومتى انتهى من كتابة هذه المسرحية ماذا سيحل بي؟

في منتصف النهار وصلت فيفيان لانيون ودخلت المكتب من دون سابق انذار وقالت:

- ماكس، حبيبي!

استدارت حول المكتب واقتربت منه ومدّت له خدها وقالت:

- هل نسيت بأننا سنتناول الغداء عند آل غيرغ؟

- بل اتذكر. اعطني خمس دقائق وسأكون لك.

خرج ماكس من المكتب، فجلست فيفيان في مقعد مريح واشعلت سيكارة ورمقت جينيفر بنظرة فضولية وقالت:

- يا لهذا التغيّر الواضح! هل تعتقدين انه من صالحك ان تظهري علنياً برفقة ابن عم ماكس؟

- اطرحي هذا السؤال عليه! بالنسبة اليّ، كنت اعتقد ان النظام الاقطاعي لم يعد صالحاً، منذ دهور عديدة...

- ليس هذا ما اقصده، يا ابنتي العزيزة. لكن ماكس لا يحبذ وجود ابن عمه في القصر. وما دمت تعملين لديه، يجب احترام رغباته.

ونهضت فجأة وراحت تنظر من النافذة. شعرت جينيفر بالغيرة

www.elromancia.com

من هذه المرأة الأنيقة. فهي لو تعرف الحقيقة، لجنت. لقد اخترعت حباً كبيراً مع جون كي تحمي نفسها من ماكس.

انفتح الباب فجأة. رفعت جينيفر رأسها عن الطباعة ورأت ماكس ينتهي من ارتداء معطفه. فراحت تتأمل قامته الممشوقة وتتذكر حرارته. قال لها:

ـ لا اعرف في اي ساعة اعود، يا جينيفر. عندما ينتهي عملك، بامكانك ان تتصرفي بنهارك كما تريدين. اعتقد انك بحاجة الى الراحة.

اطلقت السيدة لانيون ضحكة ساخرة وقالت:

ـ لا احب التدخل في حياة سكرتيرتك الخاصة، لكنني لم اعجب بتصرفها مساء امس في مطعم «الغرباء».

ـ صحيح!

ـ حاولت ان اقدّم لها بعض النصائح، لكنها تبدو غير مقتنعة بما قلته لها. لو كنت مكانك، يا آنسة كلايتن، لانتظرت طويلاً قبل ان اذهب الى هذا المطعم مرّة اخرى.

ظلت جينيفر جامدة مكانها من دون حراك. وفجأة سمعت صوت محرك السيارة وهي تنطلق. فنهضت ببطء وتوجهت الى شقتها. استقبلتها العمة ميري بقلق وسألتها:

ـ هل سمحت لبربارة ان تأخذ سيارتك، يا جينيفر؟

ـ كلا، لم تطلب مني ذلك.

ـ هذا ما كنت اعتقده. لقد ذهبت منذ حوالى الساعة، من دون ان تقول لي متى تعود. آمل ان تكون قد اصطحبت الكلب معها، لأنني لا اجده في اي مكان.

ـ لا اظن انها اخذته معها، لأنه لم يسبق ان اهتمت بالكلب من قبل. انا سأخرج الآن كي احاول البحث عنه.

ـ لكن... وماذا سيقول ماكس عن تغيبك؟

ـ لقد ذهب مع السيدة لانيون لتناول الغداء عند بعض الأصدقاء. وأنا حرة لأتصرف بنهاري كما اشاء.

اخذت جينيفر من يد العمة سلسلة الكلب وخرجت للبحث عنه. كانت تمشي من دون مخطط، وتنادي الكلب وتصفّر له، تنتظر سماع عوائه، الى ان وجدت نفسها في جوار منزل السيدة لانيون، متعبة وصوتها مبحوح. التقت بكاثي في ساحة الاسطبل، فسألتها هذه الأخيرة:

ـ ماذا تفعلين هنا؟

ومن دون ان تنطق بحرف، ارتها سلسلة الكلب، فقالت كاثي باستغراب:

ـ لقد فرّ مرّة اخرى؟ آمل الّا يكون هو من يسبب الخراب. لقد جاء السيد هاندرسن الى هنا منذ بضعة ايام ليبحث عن كلب اخاف خرافه.

ـ هل اعتقد بأن كلبي له دخل بما حدث؟ لا، نحن نراقبه باستمرار.

ـ اذا عثر السيد هاندرسن على كلب في الجوار، من دون حراسة، فلن يتساءل عن صاحبه. بل سيقتله على الفور. هل تعرفين بأن الخراف تكلف غالياً هذه الأيام؟

ـ انا اكيدة بأن كلبي لا علاقة له بما حدث. لا اعرف ماذا سيحل بتيم اذا... اذا حدث شيء كريه للكلب. انا ابحث عنه الآن،

www.elromancia.com

لكنني لم اجد له اثراً في كل مكان.

- وجئت مشياً على الأقدام، ماذا حدث لسيارتك؟ هل تعطلت؟

- كلا. استعارتها اختي بربارة.

- جينيفر، لا تبقي في الخارج مدة طويلة، فالجو يؤشر بهطول الأمطار وأنت لا ترتدين معطفاً واقياً. لو لم اكن انتظر مكالمة هاتفية مهمة، لاوصلتك بسيارتي.

- حسناً. السيدة لانيون في الغداء، اليس كذلك؟

ابتسمت كاثي وأجابت:

- تريد ان تعرّف الجيران على خطيبها.

هذه الكلمات فعلت فعل المطرقة في قلب جينيفر التي قالت:

- هل تعرفين متى سيعلنان عن خطوبتهما رسمياً؟

- آه، تصورت بأنك انت اول من سيعرف بالأمر. انت سكرتيرة ماكس ولا شك بأنه سيطلب منك اعلام الصحف بذلك.

غادرت جينيفر المكان بحجة التفتيش عن الكلب. وضعت يديها في جيبي سترتها وراحت تمشي بحزن، متعبة، غير قادرة على مناداة الكلب. فخبر زواج ماكس والسيدة لانيون دمّرها. وعليها من الآن فصاعداً ان تحيى باستمرار الألم الكبير الذي تشعر به.

ارتعشت قليلاً. راحت قطرات المطر الأولى تتساقط. وتكثفت الغيوم السوداء. نظرت الى ساعة يدها. لقد مضى اكثر من ساعتين على مغادرتها القصر، فالعمة ميري ستقلق عليها.

بعد ربع ساعة، اصبحت ثيابها ملتصقة بجسمها، وشعرها مبلل والقطرات القوية تخترق عنقها، والريح تلفحها من كل مكان. فجأة سمعت صوت محرك سيارة، فانعطفت الى حافة الطريق، ومسحت

عينيها بطرف يدها ونظرت الى الوراء. بدأ قلبها ينبض بغضب كبير... فلا شك انه لمحها. اجتازتها السيارة، ثم توقفت. نزل ماكس والغضب ظاهر على وجهه وصرخ يقول:

- تريدين ان تصابي بنزلة صدرية، يا جينيفر؟

- كلا. خرجت بسرعة ولم اعرف بأن السماء ستمطر.

- اخبرتني كاثي بأنك تبحثين عن الكلب. لماذا لم تأخذي سيارتك؟

- انها مع بربارة. لم تكن تعرف بأنني سأكون بحاجة اليها، ما دمت اعمل في الداخل وطوال النهار.

- استعارت بربارة السيارة منك؟

كان صوته مستاءً وساخراً، فأسرعت تقول:

- هذا الأمر لا يزعجني بتاتاً. اعتقد بأن بربارة تمل هنا. في هارتفورد، بامكانها على الأقل ان تتفرج على واجهات المحلات الكبيرة والعديدة.

امسك ماكس بذراع الفتاة وأمرها قائلاً:

- اصعدي.

- كلا. سأبلل المقعد.

سمعته يكبت شتيمة، ووجدت نفسها بالقوة جالسة قربه في المقعد الأمامي. اقلع ماكس بسرعة واشعل محرك التدفئة، فبدأت الفتاة تسترخي تدريجاً. بعد قليل نظرت اليه، فرأته يحدق في الطريق. التفت صوبها، واشتبكت نظراتهما. فسألته، في الحال:

- هل كان الغداء موفقاً؟

- وناجحاً ايضاً. آه، لماذا هذا الاهتمام المفاجيء بي! لا شك انها

بداية ارتفاع الحرارة في جسمك. لنرجع بسرعة.

لما دخلت السيارة الى ساحة القصر، رأت جينيفر سيارة «رانج روفر» امام الباب الرئيسي. فنظر اليها ماكس وقال:

ـ هناك بعض المشاكل تنتظرك، يا جينيفر.

ساعدها على الهبوط من السيارة وأدخلها الى المطبخ. كانت العمة ميري جالسة امام الطاولة، شاحبة اللون، وأمامها يقف تيم، شاحباً.

فجأة، لمحت جينيفر وجود رجل غريب في الغرفة، يرتدي حذاء عالياً من الكاوتشوك ومعطفاً ضخماً. التفت الى جينيفر وقال:

ـ آنسة كلايتن، على ما اظن، اسمي هاندرسن.

وقبل ان تتمكن جينيفر من قول اي كلمة، تقدم تيم من اخته وقال ناحباً:

ـ لقد اطلقوا النار عليه. هذا الرجل القذر قتل الكلب. نعم، مات!

انفجر الولد بالبكاء، فمدت له جينيفر ذراعيها، لكنه مرّ قربها وأسرع نحو ماكس الذي ضمه اليه وبدأ يخفف من روعه. بعد قليل وجه ماكس كلامه الى المزارع:

ـ اعتقد انك كنت مضطراً لاطلاق النار عليه.

ـ نعم. كان قد قتل غنمتين، وعلى وشك ان يقتل خروفاً آخر.

قال ماكس للعمة ميري:

ـ ارجوك ان تأخذي جينيفر الى غرفتها لتغيّر ملابسها المبللة. وأنا سأهتم بتيم... وبالباقي...

شعرت جينيفر بيد العمة ميري على ذراعها، لكنها لم تكن قادرة

ان تخطو خطوة واحدة. ظلت تحدق بماكس الذي كان يهتم بتيم بلطف كبير لم يسبق لها ان توقعته من قبله. كان يحاول تهدئة روعه ويجفف دموعه.

فقالت جينيفر لنفسها: يا لتيم المسكين! سيتألم كثيراً عندما سنغادر قصر الصنوبر.

www.elromancia.com

٨ ـ لحظة القرار الصعب جاءت. . . تدفعها الأحداث من حول جينيفر: فكل شيء يحصل يزيد من حدّة قرارها على الرحيل والبحث عن عمل آخر. . . والاستقالة!

دخلت جينيفر الى الحمام الساخن الذي حضّرته لها العمة ميري، وراحت تتمتع بالماء المعطرة وشعرت بأن تعبها زال كلياً. ارتدت مئزرها القديم ودخلت غرفتها، فقالت لها العمة ميري:

ـ سريرك حاضر، وعليك ان تستريحي الآن. سأهيء لك فنجاناً ساخناً في الحال.

ابتسمت جينيفر بتعب. مضى زمن طويل على آخر مرّة تدللت فيها. عليها الآن ان تواجه المشاكل وتأخذ القرارات اللازمة. فقالت:

ـ يجب ان انزل الى المطبخ. من الضروري ان اتكلم مع تيم.

ـ لا تقلقي، ماكس يهتم به.

ـ لكن لا يجب ان ندعه يفعل ذلك. . . انه يريد من دون شك ان يبدو لطيفاً، لكن. . .

ترددت عندما رأت وجه العجوز المندهش. لكن كيف باستطاعتها ان تعبّر عن افكارها؟ تابعت تقول:

ـ ماكس ليس جزءاً من العائلة. انه مديري وحسب. لا يمكننا ان ندعه يهتم بمشاكلنا.

ـ هل تعتقدين حقاً ان ما حصل لا يخصه بشيء؟

ـ طبعاً. له حياته الخاصة ولا يجب علينا ان نتكل عليه. لقد انزعجت كثيراً عندما رأيت تيم يركض نحوه ويرتمي بين ذراعيه.

ـ لكن، ماكس، لم يبد منزعجاً من الأمر. لربما وجد ذلك امراً طبيعياً في مثل هذه الظروف. هل تعرفين بأن تيم متأثر كثيراً لخسارة والده؟

اجابت الفتاة، بصوت منطفيء:

ـ نعم، اعرف.

بدأت الدموع المكبوتة تسيل بين رموش عينيها، وقالت بغضب:

ـ لا اريد ان يحل ماكس مكان ابي، بنظر تيم.

ـ كلا، طبعاً. لكنني اعتقد بأن تيم يعتبره مثل أخ كبير.

اخفضت جينيفر رأسها وأجابت:

ـ وهذا ايضاً امر مستحيل.

نزلت العمة ميري الى المطبخ لتحضّر الشاي، بينما بدأت جينيفر تجفف شعرها. صوت المجفف الكهربائي منعها من سماع الباب ينفتح. فجأة شعرت بيد على كتفها، فرجعت الى الوراء، مطلقة صرخة مخيفة:

ـ آه، يرب السماء، ما بك، يا جينيفر. انا لست شبحاً ولا لصاً. عمتك طلبت مني ان اقدم لك هذا الحساء، وتطلب منك ان تشربيه وهو ما يزال ساخناً.

تناولت الفتاة الصينية وشكرته بصوت غير مسموع، فجلس الرجل على طاولة الزينة ونظر اليها بصمت. وبعد لحظات قال لها:

ـ انا آسف لما حصل للكلب. هل كان يعيش معكم منذ وقت طويل؟

ـ كان صغيراً عندما جاء الى منزلنا. لكنه جزء من حياتنا... من حياتنا القديمة.

بدأ صوتها يرتجف وهي تقول:

ـ يا لسخرية القدر! لقد جئت بعائلتي الى هنا، معتقدة بأنني سأجد الاستقرار، لكن لا شيء حصل كما كنت اتوقع. كنت اعتقد بأنني على حق، لكنني اكتشفت الآن كم انا مخطئة.

ـ لا يجب ان تلومي نفسك لما حصل اليوم.

ـ بلى. حذرتني كاثي من قبل. كان يجب عليّ مراقبته عن قرب.

ـ لا يمكنك ان تكوني في مكانين في وقت واحد، ولا ان تعتبري نفسك مسؤولة عن كل شيء يحدث. تحلّي بالعدالة، يا ابنتي.

ـ انا مسؤولة عن العائلة، لأنها متكلة عليّ.

ـ وأنت. على من تتكلين، يا جينيفر؟ على نفسك. انه وضع يحتوي على افخاخ كثيرة، وعليك ان تحذري منها.

ـ ربما!

جرعت قليلاً من الشوربا، فنظر ماكس حوله ولمح سرير بربارة في فوضى رهيبة، ثم قال:

ـ من دون شك، انت لا تتكلين على اختك.

ـ لديها حياتها الخاصة، وهمومها ومشاكلها.

ـ آه، كم اود ان اعرف ما هي هذه الهموم والمشاكل. هل مطلوب منك ان تكوني خادمتها، اضافة الى كل الأعمال التي تقومين بها؟

ـ طبعاً لا... لا شك انها كانت على عجلة في الذهاب ونسيت ان توضّب ملابسها وتسوّي سريرها.

ـ انت صادقة جداً، يا جينيفر. لكنك لم تحاولي ان تجدي لي عذراً، في ما يتعلق بلورا هارتفورد.

ـ لست بحاجة اليّ للدفاع عن نفسك.

ـ الا تريدين سماع القصة من فمي؟

ـ كلا. لقد اعتذرت منك. وما حدث لا يخصني اطلاقاً.

ـ الا تعتقدين أن باستطاعتك ان تهتمي بالقصة؟

ـ ارجوك، لننس حديثنا مساء امس. انا خجولة جداً، الا يكفي ذلك.

ـ تعرفين تماماً ان ذلك لا يكفي ابداً.

مدّ يده وأخذ الفنجان من بين اصابعها ووضعه على الطاولة، ثم ضمّ جينيفر بين ذراعيه. في بادىء الأمر تقلصت ورجعت الى الوراء احتجاجاً، لكنه ظلّ يداعب شعرها بحنان. وبعد قليل، ابعدها عنه وقال:

ـ اشفقي عليّ، يا جينيفر، لا اريد ان آخذك هنا، الآن.

ضمّها اليه من جديد وراح يهمس في اذنيها قائلاً:

ـ جينيفر حبيبتي، يا ابنتي الصغيرة، لا تدعيني اتعذب مطولاً، اريدك ان تسهري معي هذه الليلة.

فجأة تقلص جسم الفتاة، فابتعدت عنه، فناداها ماكس بصوت عال:

- جينيفر.

تقدم منها خطوة، فابتعدت عنه خطوتين وراحت تصرخ فيه قائلة:

- كلا! لا تلمسني!

نظر اليها ماكس غير مصدق، ثم رفع يديه وراح يتاملها كأنهما شيئين غريبين. ثم وضعهما في جيبي سترته وقال بصوت ساخر:

- هل تستائين الآن من عناقي. كان مفروضاً بك ان تعلميني بذلك مسبقاً. فمنذ لحظات كنت اعتقد عكس ذلك كلياً.

وبطريقة عفوية وضعت يديها على صدرها، فقال لها:

- فاتك الأوان لتخبئي نفسك. آه! يا الهي! تنظرين اليّ الآن كراهبة غاضبة.

وأمام قسوة وعنف كلماته، انتفضت جينيفر في مكانها، فقال لها:

- لا تقلقي. لن المسك بعد الآن. لكن لماذا هذا التراجع المفاجيء؟ الا يحق لي ان اعرف السبب؟

كان صوتها يرتجف وهي تقول:

- لا، لا يحق لك شيء، لكن ما دمت مصراً على ذلك سأقول لك الحقيقة. لقد دعوتني الى قضاء السهرة معك، فماذا كنت تتوقع مني؟

- الهذا السبب تقلصت اعصابك؟

اشعل سيكارة وجلس من جديد مكانه، وحاول استرجاع هدوئه، ثم قال:

- لم تكن نيتي سيئة ابداً. تناسي هذا الحديث ولنبدأ من الصفر. جينيفر، ارجوك، تعالي نتناول العشاء معاً، هذا المساء.

انتفضت من جديد، فقال لها بصوت ناعم:

- فقط للعشاء، ولا اكثر. اعدك بذلك.

بالكاد كانت تصغي الى ما يقوله، لأن مخيلتها رجعت الى الوراء، لتتذكر العشاء الذي تناوله ماكس برفقة السيدة لانيون. لقد رأت هذه المرأة بين ذراعيه، وهو على وشك الزواج منها قريباً.

- جينيفر! ماذا تريدني ان افعل لأقنعك بحسن نيتي؟ هل ادعو العمة جيري الى تناول العشاء معنا؟

اجابته بلهجة باردة:

- وأنا، كيف تريدني ان افهمك بأنني لا اريد ان اتناول العشاء معك؟

- هل بامكاني معرفة سبب ذلك؟

لم تكن تعرف ما يجب قوله. هل تذكره بفيفيان لانيون؟ لا، تفضل ان تدعه يعتقد بأنها تكنّ لجون حباً كبيراً. فقالت اخيراً:

- اذا كان قلبك متعلقاً بشخص ما، فأنت لا تشعر برغبة الخروج مع شخص آخر.

قال بغضب واضح:

- وقلبك يخفق لأبن عمي، على ما اظن.

- انا آسفة، لكن ما تقوله صحيح.

ردد ماكس بمرارة:

- انت آسفة!

مرّ امامها وخرج، صافعاً الباب وراءه.

www.elromancia.com

بعد قليل، نزلت جينيفر الى المطبخ لترى العمة ميري وحدها.

كان تيم قد خرج مع ماكس في سيارته. قالت لها العجوز:

ـ لا اعرف الى اين ذهبا، لكن ماكس قال بأنهما سيعودان في وقت متأخر. كان الحزن على وجهه. هل شربت حساءك، يا حبيبتي؟

ـ شربت قليلاً منه، لم اكن جائعة... سأجمع اغراض الكلب وأضعها بعيداً عن الأنظار.

ـ آه، لقد سبقك ماكس. واتفق مع السيد هاندرسن في ما يتعلق بالخراف المقتولة، وربما ستضطرين لدفع تعويض ما.

ـ طبعاً. وبربارة، الم تعد بعد؟

ـ كلا. لا اعرف اين تمضي كل هذا الوقت! ساعة تكفي لرؤية كل محلات هارتفورد. هذه الفتاة لا تفكر الاّ بنفسها.

ـ ربما. لكن لا نستطيع التكهن لما حصل بعد الظهر.

عادت بربارة في ساعة متأخرة من المساء. وكان تيم قد رجع منذ مدة طويلة وراح يحدث اخته عن نزهته مع ماكس، وكيف ركبا الخيل معاً. لكن وصول بربارة قطع حديث الصبي. دخلت الى المطبخ ورمت مفاتيح السيارة على الطاولة امام جينيفر وقالت:

ـ حان لك ان تبيعي هذه السيارة الهرمة وتشتري بدلاً منها سيارة معقولة. على فكرة، انها فارغة من الوقود.

جلست امام الطاولة وأضافت تقول:

ـ لن آكل لأنني اكلت في المدينة. لكنني سآخذ حماماً ساخناً، لقد بللني المطر وأنا عائدة الى المرآب لآخذ السيارة.

قالت العمة ميري:

ـ وجينيفر تبللت ايضاً، عندما خرجت لتبحث عن الكلب.

ـ آه، صحيح. عندما خرجت من القصر لحق بي. حاولت مناداته، لكنه لم يرد سماع شيء. هل وجدته اخيراً؟

ـ اخيراً، نعم.

نظرت جينيفر الى تيم ورأته يضع السكين والشوكة جانباً، ثم يغادر المكان، شاحب اللون. فقالت جينيفر:

ـ مات الكلب، يا بربارة. قتله احد المزارعين لأنه اعتدى على خرافه.

ـ يا الهي! مسكين هذا الكلب! كان تيم متعلقاً به، اليس كذلك؟

ـ نعم. وأخشى الاّ يستطيع تحمل هذه الصدمة. وآمل الاّ تعاوده الكوابيس.

ـ آمل ذلك ايضاً. سأصعد لآخذ حمامي الآن.

صعدت جينيفر الى غرفتها وراحت تنظر من النافذة، لكنها لم تر سيارة ماكس. لا شك انه اوصل تيم الى القصر وذهب الى منزل السيدة لانيون. لحسن الحظ ان عطلة الاسبوع قد بدأت، ولن تراه قبل الاثنين.

امضت اجازتها بالعمل في الحديقة، واصطحبت تيم الى هارتفورد، واشترت ما يلزمها لأسبوع كامل، كما اخذت الصبي الى حضور السينما.

ولدى خروجهما من الفيلم، التقيا بجون الذي بدا مرتبكاً لرؤيتهما. دعاهما الى تناول الشاي في مقهى الوايت هول. فأكل تيم بشهية وأخبرت جينيفر جون ما حدث للكلب ووعد الاّ يفتح هذا الموضوع امام الصبي. نهض تيم عن الطاولة ليلعب في حديقة

المقهى، فالتفت جون الى جينيفر مبتسماً، وقال:

- اذن ابن عمي ماكس اظهر عن كرم غير اعتيادي.

- بالفعل.

بعد صمت قصير، سألته جينيفر:

- هل ستبقى في لندن، خلال القيام بعملك الجديد؟

- كلا، سأذهب الى برمنغهام. لماذا؟

- كنت اتساءل اذا كنت ستسكن في شقتك اللندنية. هل بامكانك ان تؤجرني اياها لمدة قصيرة...

- هل قررت اخيراً ان تتركي عائلتك؟ هل وضعك ميئوس منه؟

- لا ابداً. لكنني ابحث عن عمل جديد. وعليّ ان اجد منزلاً لتيم والعمة ميري، خلال هذا الوقت. سأدفع عنك الايجار، طبعاً...

اوما برأسه وأجاب:

- كلا، يا جينيفر. هذا غير وارد.

- لكننا لا ننوي العيش معك. سأحتاج الى شقتك لمدة اسبوع او اسبوعين. وسأنتقل منها متى اجد عملاً جديداً ومنزلاً آخر.

- وذلك بمعاشك الضئيل؟ هل تحلمين؟ في كل حال، لماذا تريدين مغادرة القصر. وبما كان تصرف ماكس غير لائق، لكنه يملك المال الكثير. ولن يبقى مطولاً في انكلترا. لقد انتهى من كتابة مسرحيته الأخيرة وسيعود قريباً الى كاليفورنيا أو الى جزر الباهاماس.

- رحلته المقبلة لا شك انها ستكون رحلة العسل مع السيدة لانيون. وهذه المرأة تنوي الاستغناء عن خدماتي.

- السيدة لانيون تريد ان تصبح السيدة هاندريك؟ اتمنى لها حظاً سعيداً. غيرها كثيرات حاولن حبسه وأخذ حريته، لكن ابن عمي

العزيز يحب كثيراً استقلاليته.

- هذا ما كانت تريده ايضاً لورا هارتفورد، اليس كذلك؟

- لورا؟ هذه الفتاة المجنونة؟ كانت تقع بغرام كل رجل تلتقي به.

نظرت جينيفر اليه مندهشة، ثم قالت:

- لكن... قلت لي بأنها تسممت بسبب ماكس؟

هز جون كتفيه وقال بانزعاج بسيط:

- اوه... نعم. هذا ما اعتقدته. والجميع على علم بذلك.

- آه، فهمت. لم اكن اعرف بأنك تشيّع الأخبار الكاذبة. شكراً على هذه الجلسة يا جون، علينا العودة الى القصر الآن.

في طريق العودة كان تيم طيب المزاج، يتحدث عن الفيلم الذي شاهده بحماس، ثم قال:

- والعصرونية كانت رائعة ايضاً. وجدت ان الحلوى كانت طيبة، كالتي تصنعينها.

- شكراً.

- هل تحبين جون، يا جينيفر؟

ترددت قبل ان تقول:

- نعم، طبعاً.

- هل تحبينه اكثر من ماكس؟

- هذا من الصعب قوله. انا اعمل لدى ماكس، بينما جون هو... صديق وحسب.

قال تيم بلطف:

- كنت في البداية احب جون، قبل مجيء ماكس. انا مسرور الآن لوجودي في القصر وأحب ماكس كثيراً. انه اقل تسلية من ابن عمه،

لكنه يهتم بنا حقاً.

ـ تيم، حبيبي، ليس من صالح ماكس ان يهتم بنا وبحياتنا الخاصة. فالقصر له، وليس لنا. وربما سنضطر ان نعيش في مكان آخر.

احتج الصبي وقال:

ـ لكن، انا لا اريد ان اعيش في مكان آخر. في كل حال، ماكس لا يريدنا ان نذهب من هنا.

نظرت جينيفر الى اخيها الصغير ورأت الاحمرار يعلو وجهه، فقال الصبي متابعاً:

ـ هناك امر لم اكن اريد التحدث به لأحد، لكن... سأخبرك اياه، لأبرهن لك بأنني على حق في ما قلته.

رفع الصبي نحو اخته نظرة مليئة بالخجل، ثم قال:

ـ ذات صباح، وبينما كنت متوجهاً الى محطة الباص للذهاب الى المدرسة، اكتشفت بأن الباص سبقني. فرحت اتجول في الطرقات والاحق الفراشات وقضيت نهاري خارجاً. الظاهر ان ماكس رآني، وفي اليوم التالي انتظرني، وقال لي بأنني اذا كررت ذلك، فسيضربني بقسوة. كذلك طلب مني ان اريه اعمالي المدرسية. كان يريد ان يتأكد من انني ادرس وأقوم بواجباتي المدرسية جيداً. اليس هذا، يا جينيفر، دليل حب؟

اطلقت الفتاة زفرة عميقة، ثم صرخت تقول:

ـ يا الهي!

ـ هل انت غاضبة مني؟

ـ لا، بل انا غاضبة على نفسي، لأن رجلاً غريباً يعرف اكثر مني

عن عائلتي الصغيرة.

ـ ماكس ليس برجل غريب. انه صديق العائلة.

عندما عادا الى القصر، كان الجو ثقيلاً ومتوتراً بين بربارة والعمة ميري. لقد امضت الممثلة الشابة كل فترة بعد الظهر تتكلم على الهاتف. قالت بربارة لأختها عندما اصبحتا وحيدتين:

ـ يا لوقاحة هذه العجوز! لقد تجرأت وسألتني متى سأجد عملاً لي. كأن الأمر بمنتهى السهولة! انها لا تعي الوضع.

ـ العمة ميري لا تعرف اكثر مني عن عالم المسرح.

صرخت بربارة في وجه اختها بغضب وقالت:

ـ العجوز لها اعذارها، لكن انت. انت من يعمل على اهمّ مسرحية في الموسم! هل سترين ماكس في عطلة الاسبوع؟ الا يمكنك ان تجدي حججاً للذهاب الى الجناح الآخر من القصر: لتنظفي أو لتغيري شراشف الأسّرة...

حاولت جينيفر الابتسام والقول:

ـ كلا. ليس لديّ اي عمل هناك قبل صباح الاثنين. الا يكفي ما افعله خلال الاسبوع.

ـ اعرف. لكن ارجوك ان تحاولي الاستعلام بوضوح عن المسرحية التي تطبعينها. يعني حاولي ان تعرفي اذا كان فيها دور لي.

ـ لا، لا يسعني ان افعل ذلك.

ـ لا تريدين ذلك، بالأحرى. اذن، سأذهب بنفسي وأطرح هذا السؤال على مديرك.

حدقت بها جينيفر مدة، ثم ادارت لها ظهرها وعادت الى المطبخ لتهدىء من غضب العجوز، وراحت تخبرها عن أسرار تيم،

فأجابت العمة قائلة:

ـ آه، صحيح. هذا الولد بحاجة الى سلطة قاسية اكثر من التي نتمتع بها تجاهه.

ـ ماذا يجب عمله في هذه الحال؟ ان نجد له عائلة تتبناه؟ هذا الأمر يزعج الصبي، وأنا لا استطيع قبول ذلك ايضاً.

تنهدت العمة واسترخت في مقعدها وقالت:

ـ هذا حلّ يمكن التفكير فيه. تيم في سن صعب، ونحن سعداء لأن ماكس استطاع مساعدتنا.

ـ نعم.

بعد العشاء، ارادت جينيفر ان تجد حلاً للأمور العالقة. هذا الوضع لا يمكن ان يستمر مدة اطول. ماذا تأمل ان بقيت في القصر مدة اطول. من الأفضل ان تترك هذا المكان قبل ان يصبح الرحيل صعباً.

تناولت قلماً وورقة وكتبت بيد حازمة رسالة استقالتها وشرحت بأنها تبحث عن عمل يؤمن لها استقراراً اكبر.

وبينما كانت تستعد لمغادرة الغرفة والاتجاه الى مكتب ماكس ووضع الرسالة، انفتح الباب فجأة ودخلت بربارة وقالت:

ـ ليس ماكس في مكتبه. لكنه سيعود مع احد ما، لأنني رأيت كاسين بانتظارهما في الصالون. ألم يدعوك للاحتفال بنهاية مسرحيته الجديدة؟ لا بد انه يستعد للاحتفال بشيء آخر. ما رأيك؟

ابتسمت جينيفر بسخرية وقالت:

ـ لقد حذّرتك!

ـ نعم. انت فتاة ملعونة.

احمرّ وجه جينيفر، فقالت بربارة مندهشة:

ـ الظاهر ان ماكس هاندريك الوسيم قد دخل قلبك يا جينيفر المسكينة. لقد كان اختيارك سيئاً! حسناً... آه، لا استطيع ان اتحمل هذا الجو طيلة السهرة. سأذهب الى هارتفورد. اظن بانك لست بحاجة الى السيارة، اليس كذلك؟

ـ كلا. بامكانك اخذها. لكنني لا ادري ماذا ستجدين هناك.

ـ النوادي الليلية ليست نادرة. لا تخافي عليّ، استطيع تدبير اموري.

وضعت جينيفر الرسالة على مكتب ماكس ونظرت حولها. نعم صحيح، المسرحية انتهت وستنال نجاحاً كبيراً، وستتقاسم السيدة لانيون فرح زوجها وستكون فخورة بشهرته الواسعة.

www.elromancia.com

٩ ـ واكتشفت ان جون على علاقة ببربارة! ثم جاءت السيدة لانيون لتراها خارجة من غرفة ماكس وبصقت في وجهها. . . ماذا هناك بعد يا ترى؟

افاقت جينيفر من نومها وهي تصرخ عالياً: كلا! يا ماكس! كلا! وتذكرت الكابوس الرهيب الذي ايقظها في منتصف الليل: كانت في ممرّ طويل، مليء بالأبواب المحكمة الاقفال، وراحت تطرقها بقوة متوسلة بصوت عال ان يفتح لها احد باباً واحداً على الأقل. لكن من دون جدوى. كانت تعتقد ان وراء احد هذه الأبواب، توجد الجنة، لكن كيف تصل اليها والأبواب كلها متقفلة؟

فجأة رأت باباً في آخر الممر ينفتح ببطء، فركضت نحوه، وكلما اسرعت كلما بقيت في المسافة نفسها. وشاهدت رجلاً امام هذا الباب، يدير لها ظهره وعرفت انه ماكس، فراحت تناديه، لكنه لم يلتفت نحوها أو ينظر اليها. بعد قليل، تبيّن لها ان الباب على بعد

امتار قليلة منها، وما ان وصلته حتى رأت فيفيان لانيون تخرج من مكان مجهول وتصفق هذا الباب ضاحكة في وجهها.

حينئذ، صرخت جينيفر: «كلا! يا ماكس! كلا!».

رأت جينيفر نفسها جالسة في السرير، في غرفتها المظلمة. نظرت الى السرير المجاور تتوقع ان ترى اختها قد افاقت على صوتها، لكنها فوجئت بالسرير فارغاً.

نزلت من فراشها مذعورة. بربارة في السيارة، آتية من هارتفورد. على طريق لا تعرفها جيداً. يا الهي، ماذا حلّ بها! توجهت الى النافذة، واطلقت زفرة ارتياح عندما رأت سيارتها واقفة مكانها. اذن، اين بربارة؟ ربما تكون في المطبخ تحضر فنجاناً حاراً قبل الايواء الى فراشها.

ارتدت جينيفر مئزرها وقررت الذهاب الى المطبخ واحتساء الشاي، لعلها تستعيد اطمئنانها قبل العودة الى سريرها من جديد. وعلى رؤوس اصابعها، لئلا توقظ العمة ميري النائمة في الغرفة المجاورة، هبطت السلالم المظلمة ولم تشعل الأضواء، وببطء وحذر وصلت الى اسفلها، وتوقفت هناك بعدما لمحت نوراً آتياً من غرفة الجلوس. في تلك الأثناء سمعت همساً وتأكدت بأن بربارة ليست وحدها.

رجعت الى الوراء، مستاءة من وقاحة اختها، عازمة على صعود السلالم من جديد، لكن بحذر وخوف ان توقظ احداً، بخاصة العجوز. . . غير انها ارتطمت بشيء ممدد على الأرض ـ حذاء عالي الكعب احدث فرقعة مسموعة. كادت الفتاة ان تقع ارضاً، لكنها تمكنت من التمسك بدرابزين السلم وكبتت صرخة مذعورة.

سمعت صوت جون يقول بوضوح: ما هذا الصوت؟ كلا، لا تتحركي يا عزيزتي، سأذهب بنفسي لأرى ما حدث.

آه! جون وبربارة معاً! ماذا ستكون ردة فعله عندما يراها. اذا صعدت من جديد، سيسمعان خطواتها. نظرت حولها، باحثة عن ملجأ امين، فلمحت الباب الذي يصل بجناح القصر الذي يسكنه ماكس، والذي لا يبعد عنها سوى خطوتين.

وبحذر اقتربت من الباب ودخلته ووقفت في العتمة في الجهة الثانية. راحت تصغي الى الاثنين يتكلمان بصراحة، وعدم اكتراث. وأدركت من الحديث انهما على معرفة قديمة وعلاقتهما عاطفية.

والآن، ماذا ستفعل في هذا المكان المظلم. انها واقفة في الجهة المخصصة لماكس، لا تجرؤ على التحرك. آه، لو تستطيع العودة الى حيث كانت، غير مبالية ان رأتهما ام لا، ثم تصعد الى غرفتها. لكنها تفضل الموت على ان تدعهما يعرفان انها اكتشفت حقيقة علاقتهما.

بدأت تعد للمئة ببطء، لكنها ظلت تسمع اصواتهما وضحكاتهما. شعرت بقدميها باردتين وندمت لأنها لم تلبس جواربها أو حذاء دافئاً. ارتعشت برداً وخوفاً، اخيراً بعد تفكير طويل قررت اجتياز الممر ودخول الصالون لعلها تجد مكاناً دافئاً تختبىء فيه حتى طلوع الفجر. اقتربت من المدفأة وجلست مدة قصيرة على البساط الدافىء، تتأمل النار المشتعلة وتصغي الى فرقعة الحطب.

مضت نصف ساعة، أو اكثر فقد نسيت ساعتها في الحمام. تناولت وسادة من المقعد المجاور وتمددت على البساط ولفت جسمها بمئزرها محاولة النوم قليلاً. لكن عبثاً. فجأة احست بيد تهزّها،

فتحت عينيها واذا بها امام ماكس. كان راكعاً قربها، في مئزر الحمام، ينظر اليها مندهشاً، ثم قال:

ـ ماذا تفعلين هنا في الساعة الرابعة من بعد منتصف الليل، يا جينيفر؟ هل انت مريضة؟

ـ كلا. هل الساعة فعلاً الرابعة صباحاً. آه، من الأفضل ان اعود الى غرفتي.

قال ساخراً:

ـ طبعاً. لكن بعد ان تشرحي لي ما يحق لي معرفته. هل تمشين في نومك، أو انها خطة اخرى لالتقاط النزلة الصدرية، بعد هربك في العاصفة!

ـ لم اكن اتوقع منك ان تجدني هنا. كنت سأبقى لمدة قصيرة، لم اكن استطيع النوم، هذا كل ما في الأمر.

ـ لو لم افق من نومي على صوت هذه السيارة العتيقة وانزل الى الصالون للاستعلام لما وجدتك قبل موعد الفطور.

ـ سيارة؟ هل سمعت سيارة تخرج من هنا؟

قطّب حاجبيه وقال:

ـ نعم، ولا بد انه زائر يحب السهر حتى الفجر. هل تعرفين شيئاً عن هذا الأمر؟

اومأت برأسها سلباً في البداية. لا بد ان يكون جون قد ذهب وعادت بربارة الى غرفتها لترى سرير اختها فارغاً. فصرخت كأنها تقول لنفسها:

ـ آه، يا الهي!

وبدأت تحاول النهوض بصعوبة، فمدّ لها ماكس يده ليساعدها،

ثم سألها:

ـ لم افهم شيئاً. ماذا هناك، يا جينيفر، اريد معرفة الحقيقة. لا شك انك تخبئين شيئاً عليّ.

نظرت اليه بخوف، ثم قالت:

ـ وجدتهما معاً، لكنهما لم يرياني، لقد ارتطمت بحذاء بربارة وأحدثت ضجة صغيرة، فلم اجرؤ على الصعود من جديد، لذلك جئت الى هنا.

ـ من وجدت وأين؟

ـ لقد قلت لك... وجدت سريرها فارغاً وقررت الهبوط الى الطابق الأرضي للبحث عنها والاطمئنان عن حالها. اعتقدت انها ربما تصرفت بحمق وحذر، لكنني كنت اشعر بأنه اذا رآني لن اتمكن من مجابهة اي منهما، بعد الآن.

ـ هل كانت اختك مع احد في الطابق الأرضي. مع رجل غادر لتوه القصر في هذه السيارة الصاحبة. اهذا ما تحاولين قوله، يا جينيفر؟

ـ نعم. وكانت بربارة... كانت برفقة جون...

اطلق ماكس صرخة حادة، ثم قال:

ـ آه! يا الهي!

ثم صمت وران السكوت مدة طويلة. بعدها تقدم من الفتاة ووضع ذراعه حول خصرها. اغمضت الفتاة عينيها وأراحت خدها على صدره الخشن وسمعته يشتم، فقالت:

ـ انهما عشيقان، اليس كذلك، يا ماكس. وكنت انت على علم بالأمر.

ـ نعم. لكنني لم اكن اريدك ان تكتشفي ذلك بهذه الطريقة. عندما جاء جون الى هنا في المرة الأولى، لم يكن يعرف بانك شقيقة بربارة. واحدى الأسباب التي جعلته يأتي الى هنا كانت بسبب مشاجرة عنيفة حصلت بينهما، فطردته اختك من الشقة. فوجد من التسلية ان يغازلك هنا بينما كان ما يزال على علاقة عاطفية مع اختك في لندن.

توقف لحظة ليأخذ نفساً عميقاً، ثم تابع يقول:

ـ لقد سبق وحذرته بأنني اكتشفت لعبته الصغيرة وهددته بفك رقبته ان هو عاملك سوءاً. عندما جلبت اختك من محطة القطار يوم وصولها، اخبرتها عن الوضع وطلبت منها الاّ تدعك تعرفين بعلاقتها العاطفية مع جون. لم تهتم بالأمر كثيراً، ربما كانت تعتقد بأنني سأصبح عشيقها البديل وسأعطيها دوراً في مسرحيتي. لا ادري. آه، لو رأيتهما انا، لقتلتهما معاً. الا يستطيعان الانتظار حتى يعودا الى لندن. كنت اتمنى، يا جينيفر، ان يخرج جون من حياتك، ومن قلبك، بصورة تدريجية، لئلا يكون جرحك كبيراً. لكن الأمور جرت عكس ما كنت اتمناه. آه، يا جينيفر المسكينة.

كان صوته حنوناً، فراحت تبكي بغزارة على صدره بين ذراعيه. بعد قليل، قال لها:

ـ من الأفضل ان تعودي الى غرفتك، يا جينيفر، قبل ان تفتقدك عمتك.

ـ آه، لا بد ان بربارة قد استفقدت لي عندما وجدت سريري فارغاً. ماكس، لا استطيع مواجهتها الآن. دعني ابقى هنا. باستطاعتي ان انام على الأريكة قرب النار.

www.elromancia.com

ـ كلا، بامكانك ان تنامي ما تبقى من الليل في غرفتي فوق، وأنا انام هنا على هذه الأريكة.

وبسرعة حملها وكأنها طفلة صغيرة وصعد بها السلالم حتى غرفته ثم وضعها على السرير الضخم وغطاها، فنظرت اليه متسائلة كيف باستطاعته ان ينظر اليها من دون ان يكتشف الحقيقة في عينيها. قال لها:

ـ هل باستطاعتي ان اجلب لك شيئاً. هل اعد لك فنجاناً ساخناً؟

ـ نعم، شكراً.

عاد ماكس حاملاً فنجان شاي وجلس على حافة السرير بينما راحت تجرع السائل الساخن. ولما انتهت، نهض ماكس، فقالت له بسرعة قبل ان تفقد شجاعتها:

ـ ماكس، ارجوك، لا تذهب. ابق معي. لا اريد ان ابقى هنا وحدي.

ـ يا الهي!

نظر اليها مدة طويلة ثم قال:

ـ حسناً، يا جينيفر، ما دمت تريدين ذلك.

اطفأ الأضواء وأضاف يقول:

ـ سأبقى بجانبك حتى تنامين. استرخي، ارجوك. انت كتلة اعصاب متشنجة.

فتحت جينيفر عينيها وفوجئت بضوء النهار يملأ الغرفة. جلست في السرير ورفعت شعرها الى الوراء ورأت رسالة صغيرة على الطاولة قربها. فتحتها. قال لها ماكس انه ذهب لشراء بعض الصحف وحين

يعود يريد ان يتحدث اليها مطولاً.

خرجت من السرير ثم رتبته بتأن وراحت تتذكر أول مرّة جاءت الى هذه الغرفة لتحضّرها والتقت به. فجأة سمعت الباب الأمامي ينفتح ثم ينغلق، فأسرعت الى الممر وهبطت السلالم وهي تصرخ:

ـ لم احضر القهوة بعد. لقد استيقظت منذ قليل و...

لكن نظرها وقع على فيفيان لانيون التي كانت تحدّق فيها بعدائية وجمود. وان صمت متوتر، قطعته السيدة لانيون عندما قالت:

ـ انت فتاة غانية!

ـ كلا، ارجوك، ما تفكرين به خطأ كبير. صدقيني. ارجوك. شيء ما ازعجني في الليل، فدعاني ماكس ان انام هنا، هذا كل ما في الأمر.

ـ كذابة!

بصقت المرأة في وجهها وتابعت تقول:

ـ هل تعتقدين بأنني لم الاحظ كيف كنت تنظرين اليه. يا الهي! انا مجنونة لأنني وظفتك هنا. لقد نسيت مدى تأثير البراءة المزيّفة عند الشباب، على رجل خبير مثل ماكس. حسناً، انت مطرودة من العمل، هل سمعتني. حضّري امتعتك وارحلي من قصر الصنوبر.

ـ انا كنت راحلة في كل حال. رسالة استقالتي موضوعة على مكتب ماكس. انها هناك منذ اربع وعشرين ساعة.

ـ وأنا سأعطيك فقط ٢٤ ساعة لتغادري هذا المكان.

وضعت جينيفر يديها على اذنيها لئلا تسمع المزيد. في تلك الأثناء دخل ماكس فأدارت جينيفر وجهها لطرد هذا المشهد من عقلها. انغلق باب المدخل بقوة، ثم صعد ماكس السلالم وشعرت بيديه على

www.elromancia.com

ذراعيها، فأدارها صوبه وقال بصوت ناعم:

- لقد ذهبت يا جينيفر، وكل شيء على ما يرام الآن.

- المعذرة، يا ماكس. اعتقدت انك انت، فأسرعت للقائك. انا لا اريد ان اخلق لك المشاكل...

- انت لم تخلقي لي المشاكل وأنا اكيد بأن جشع السيدة لانيون لن يتغلب في الأخير. محاميها رجل شريف وصادق وسيساعدها على استرجاع ادراكها.

- يبدو كل شيء معك مدروس ومنظّم.

- لا حاجة للعاطفة لشراء منزل.

- منزل؟ اي منزل؟

- هذا المنزل. القصر سيصبح ملكيتي. لقد توصلت الى اقناع فيفيان لانيون ان تبيعني القصر. وشربنا نخب ذلك مساء امس.

- هل اشتريته؟ لكن... لكان اصبح ملكك بطبيعة الحال بعد الزواج منها.

- شكراً. لست من النوع الذي سيصل الى هذه الدرجة ليملك القصر.

ما زالت جينيفر لا تفهم شيئاً. هزت رأسها وحاولت المرور امامه لهبوط السلالم. فأوقفها وسألها:

- الى اين ذاهبة؟

- ذاهبة لأحزم امتعتي واحضّر حقائبي. لا شك انك سمعتها: لقد طردتني. اذا ذهبت اليوم ربما تسمح للعمة ولتيم ان يمكثا بضعة ايام هنا، حتى اجد لهما مسكناً.

قال ماكس بصوت متوتر:

- لديهما منزل بامكانهما ان يسكنا هنا، وأنت ايضاً.

- لا استطيع ذلك يا ماكس! ستكون غاضبة. واذا عرفت انني ما ازال هنا، ربما تلغي بيع القصر ولا اريد ان افعل هذا معك.

- اذا رفضت عرضي في شراء المنزل، فسنجد منزلاً آخر. لكنني كنت اعتقد بأنك تحبين هذا المكان وتعتبرينه مثل منزلك.

- انا لا املك منزلاً.

- سيكون لك منزل اذا تزوجتني. لقد وجدت رسالة استقالتك على مكتبي. انا افهم تماماً رغبتك في الاستقرار، والزواج هو الضمانة التي تحتاجينها والتي بوسعي ان اقترحها عليك.

- هل تسخر مني؟

- ابداً. تريدين الاستقرار وأنا اقدمه لك. وكذلك للعمة ولتيم.

- كلا، كلا. هذا مستحيل.

حاولت التخلص من قبضته لكنها تعثّرت، فحملها ماكس بين ذراعيه ونزل بها السلالم حتى وضعها على الأريكة وقال:

- مساء امس، يا جينيفر، جئت تبحثين عن بعض الاطمئنان قربي، فماذا جرى من تغيير اليوم؟

حاولت الابتسام وقالت:

- لا يتزوج الانسان ليجد الاطمئنان.

- هذا ما افكر به انا ايضاً. لكنني لن اطلب المستحيل سأنتظر حتى تنسين جون. على فكرة، اظن انه عاد الى لندن مع اختك. عمتك تقول بأن امتعة بربارة اختفت كلها من غرفتك. لذلك لا حاجة بعد الآن لمواجهة اختك.

- لكن عليّ مواجهة العمة ميري. ستكون غاضبة عليّ.

- ارتاح بالها عندما اعلمتها عن زواجنا. وتيم يجد ذلك فكرة رائعة. الانسان الوحيد الذي ما ازال بحاجة لاقناعه هو انت. تزوجيني، يا جينيفر. انا اقدم سقفاً لعائلتك ولك.

- ليس هذا ما اريده.

- لا. اذن قولي لي، هل انت حقاً مغرمة بجون؟

- كلا! لم يكن شيئاً بالنسبة اليّ؟

- ولماذا جعلتني اعتقد العكس؟ انظري اليّ، يا جينيفر، ودعك من التمثيل.

- بسبب فيفيان لانيون.

- يا الهي، يا جينيفر. منذ المساء الذي رميت فيه صحن الدجاج بوجهي، لم اعد افكر الا فيك. دخلت الى المطبخ بنظرة مبتهجة وابتسامة سعيدة. لقد نسيت كم تكون المرأة السعيدة جميلة جداً. كدت ان اخلع عنقك عندما علمت بأن جون هو سبب سعادتك هذه. وأقسمت لنفسي، بأنني سأكون انا من تنظرين اليه بهذه الطريقة. لكن هذا لم يحدث ابداً.

- حتى الآن...

التمعت عيناهما، فضمها الى صدره وعانقها. وهمس في اذنها:

- آمل الا تكوني مصرّة على خطبة طويلة.

ضحكت فرحاً، ثم قالت له:

- لقد رأيتك في وضع حميم مع فيفيان لانيون عندما دعوتها الى العشاء فماذا هناك بينكما؟

- هل تتذكرين كم كنت غاضباً منك ذلك المساء، عانقتها معتقداً ان باستطاعتي ان انساك بين ذراعيها، لكن كان هذا مستحيلاً.

- والحقيقة حول لورا؟

- لورا فتاة تعيسة. وظفتها عندي بتوصية من طبيبها النفسي. لقد سبق وحاولت الانتحار قبلاً. لكنها لم تنتحر بسببي، هذه هي الحقيقة.

- اصدقك، يا ماكس. لقد اخبرني جون اخيراً بأنه كذب عليّ. كنت خجولة لأنني حكمت عليك خطأ، وهذا ما كان يحصل دائماً. آه ماكس، اعذرني، كنت افضل ان اعتبرك رجلاً يغازل كل النساء، بدلاً من ان ابوح لك بانني احبك.

- لست بحاجة الى الاعتذار. الحياة كلها امامك لتفي ديونك.

قهقهت من الضحك وخجلها كله اختفى. احنى ماكس وجهه وطبع على خدها قبلة وقال:

- سأبدأ من الآن. عناق تجاه كل كلمة سيئة قلتها لي.

- هل هذا تهديد؟

- لا، يا حبيبتي، وعد.

عانقها، فاستسلمت له وأحست بأن حياتها ستكون مليئة بالسعادة من الآن فصاعداً.

www.elromancia.com